وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ

المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني من خلال الكتابات الغربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830م)

إعداد الطالب:
يانيس حاجم

إشراف:
د. سعيد بورنان

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. فرحات لاصب	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيساً
د. سعيد بورنان	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفاً ومقرراً
أة. غانية بعيو	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مناقشاً

الموسم الجامعي: 2023 - 2024

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى نفسي الطموحة أولاً، وإلى مصدر الأمان الذي أستمد منه قوتي.. عائلتي وخصوصاً الوالدين الكريمين اللذين أعتبرهما سر نجاحي وتوفيقي. وإلى كل من سعى معي لإتمام هذا العمل.

كما أخص بالإهداء جميع أساتذتي الكرام في فرع التاريخ وتخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830) في جامعة مولود معمري تيزي وزو.

أوجه هذا الإهداء كذلك لجميع الأساتذة والمعلمين النبلاء الذين علموني وأناروا دربي، وتتلمذت على أيديهم منذ سنتي الأولى في الابتدائي إلى يومنا هذا... عرفاناً بمجهوداتهم وتقديراً لرسالتهم النبيلة والسامية.

وإلى زملائي وزميلاتي في مساري الدراسي، خاصة الذين جمعتني معهم سنوات معدودات لا تنسى، وإلى كل من أعانني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

❋ ❋

شكر وعرفان

إثر تقديمي لهذا العمل المتواضع الذي يتوج تجربة هامة وفريدة من نوعها في مساري الجامعي.. أشكر الله أن وفقني لهذه اللحظة.

ثم أود أن أتقدم بأخلص عبارات الشكر والتقدير لأساتذة فرع التاريخ وأساتذة فرقة تكوين ماستر تخصص "تاريخ الجزائر الحديث"، الذين عملوا على إثراء عقولنا بعلمهم الغزير وثقافتهم الواسعة في علم التاريخ، مع حرصهم على تزويدنا بالإرشادات والنصائح والتوجيهات طيلة مسارنا الجامعي... فهم يستحقون كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما أوجه شكر خاص للأستاذ القدير الدكتور سعيد بورنان المشرف على هذا العمل، والذي رافقني طيلة فترة بحثي بتوجيهاته القيمة ونصائحه الثمينة وتشجيعه لي... كما عمل على تزويدي بكل صغيرة وكبيرة حول منهجية العمل والبحث في التاريخ. فقد استفدت من تجربتي في البحث العلمي تحت إشرافه طيلة مدة إنجازي لهذه الدراسة.

دون أن أنسى شكر جميع من مد لي يد العون من عائلة، أقارب، أصدقاء وزملاء عن كل مساعدة قدموها لي من أجل تحقيق النجاح وإنجاز هذا العمل المتواضع.

ولله الشكر أولاً وآخراً على توفيقه لي، راجياً منه جل وعلا أن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، وأن يجعل علمي حجة لي لا علي.

❋ ❋

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ج	جزء
ص ص	صفحات متتالية
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
تح	تحقيق
ط	الطبعة
ع	العدد
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
p	Page
pp	Pages
ibid.	Ibidem
Op.cit	Opercitato
Tr:	Traduction
n°	Numéro
T	Tome
Ed.	Editions

مقدمة

مقدمة :

إن الدارس والمتمعن في تاريخ الجزائر الحديث أي خلال الوجود العثماني (1519-1830م) يجد نفسه أمام مجموعة من المواضيع وسلسلة من الأحداث التاريخية المهمة التي تميزت بها تلك الفترة، وقد اهتم المؤرخون بتسجيل تلك الوقائع ودراسة أبرز مواضيعها مع الوقوف عند الإشكاليات التي أثارت جدلاً لدى الدارسين والباحثين في الحقول المعرفية للتاريخ بصفة عامة، ومن المعلوم أن الكتابات حول تاريخ الجزائر في تلك المرحلة متعددة ومتنوعة، فمنها المحلية التي سجلها كُتاب ومؤلفون من أبناء الجزائر، ومنها الغربية التي أنتجتها أقلام غربية لكتاب من مختلف الجنسيات الأوروبية والأمريكية، وبخصوص كتابات الغربيين فالمعروف عنها أنها ساهمت بشكل كبير في تسجيل أحداث وأخبار إيالة الجزائر بالتركيز خصوصاً على الجانبين السياسي والعسكري، إلا أن بعضهم أبدوا اهتماماً خاصاً بالجانب الاجتماعي للإيالة، وذلك بالتركيز على دراسة مختلف الفئات السكانية الموجودة بها ونشاطاتها، مع تسليط الضوء من خلال كتاباتهم على أهم مظاهر الحياة الاجتماعية وذلك بفضل احتكاكهم بالمجتمع في تلك الفترة، وهذا هو موضوع دراستنا هذه التي تحمل عنوان **« المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني من خلال الكتابات الغربية»**.

أسباب اختيار الموضوع :

- الرغبة في الإطلاع على كتابات الغربيين ومعرفة نظرتهم تجاه تاريخ الجزائر الحديث، ورغبةً أيضاً في التأكد من صدق الأخبار والمعلومات التي تحملها كتاباتهم عن الجزائر.
- الرغبة في تسليط الضوء على الجانب الاجتماعي للجزائر في العهد العثماني من خلال كتابات الغربيين، هذا الجانب الذي لم ينل نصيبه لأن أغلب الدراسات المتعلقة بهذا العهد ركزت على الجانبين السياسي والعسكري للإيالة.
- تحفيز الأستاذ المشرف وتشجيعه لي لدراسة هذا الموضوع.
- الرغبة في دراسة واستكشاف طبيعة وواقع المجتمعات في الفترة الحديثة لإثراء معارفي في هذا الجانب.

أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الحياة الاجتماعية والسلوكات المميزة للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وتقديم صورة عن أهم الفئات الاجتماعية ونشاطاتها في الإيالة من خلال كتابات الغربيين، وكذلك المساهمة المتواضعة في إثراء البحث العلمي والتاريخي من خلال إبراز كيفية تناول ودراسة الغربيين لهذا الجانب.

تحديد الإشكالية:

من خلال ما سبق، يتبين أن الإشكالية الرئيسية لموضوع دراستنا هي كالتالي:

كيف صورت الكتابات الغربية المجتمع الجزائري والحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وإلى أي مدى كانت هذه الكتابات صادقة وموضوعية في ما أوردته من معطيات تاريخية في هذا الجانب؟

تحديد المنهج المتبع للدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على **المنهج التاريخي الوصفي** الذي يعتبر ضرورياً ومناسباً لوصف بعض الأحداث التاريخية خاصة في الفصل الثاني أين قمنا بالتأريخ للوجود التاريخي لأهم الفئات السكانية بالجزائر خلال العهد العثماني مع وصفها وذلك في المبحث الأول، كما يظهر الوصف في المباحث الثلاثة من الفصل الثالث وهو المنهج الأنسب عندما تطرقنا إلى وصف الحياة الاجتماعية ومظاهرها من احتفالات، عادات وتقاليد، ألبسة، وكذلك وصف المرأة وأخلاق السكان... كما اعتمدنا على **المنهج التحليلي** وهذا بسبب طبيعة الدراسة التي تقتضي ذلك عند دراسة السكان ونشاطاتهم في الفصل الثاني مع مناقشة تلك الأخبار ودراستها وتحليلها للوصول إلى خلاصة شاملة لكل مبحث، واعتمدنا التحليل في الفصل الثالث الذي يتعلق بالحياة الاجتماعية ومظاهرها، نظراً للأخبار التي تحملها هذه الكتابات الغربية، مع مقارنة آراء الكُتاب والمؤلفين وتمحيصها.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

جاءت مقدمة البحث على شكل مدخل موجز وتمهيد لموضوع الدراسة.

يتضمن الفصل الأول الذي يحمل عنوان «**الكتابات الغربية وتناولها لتاريخ الجزائر الحديث**» ثلاثة مباحث: المبحث الأول خصصته للتعريف بالكتابات الغربية مع ذكر أنواعها (مذكرات، رحلات، وثائق..)، المبحث الثاني الذي تضمن خصائص ونقائص الكتابات الغربية، أما المبحث الثالث فهو يبين أهمية الكتابات الغربية بالنسبة لتاريخ الجزائر الحديث.
أما الفصل الثاني «**فئات المجتمع الجزائري ونشاطاته خلال العهد العثماني حسب الكتابات الغربية**»، فقد احتوى على مبحثين: الأول يتناول التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، أما الثاني فتناول نشاطات المجتمع الجزائري في العهد العثماني.
والفصل الثالث «**مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال الكتابات الغربية**» يتضمن ثلاثة مباحث: الأول يدرس جانب الزواج والمرأة في المجتمع الجزائري، والثاني طرحنا فيه الجانب الأخلاقي والمرافق العامة للمجتمع، أما المبحث الثالث والأخير يتناول الاحتفالات الدينية، وما له علاقة بالعادات والتقاليد.
أما الخاتمة، فقد جاءت كملخص موجز لمحتوى نتائج البحث.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على العديد من المصادر والمراجع الغربية والتي ترجمت إلى العربية، من أهم المصادر المعتمدة: «**مذكرات وليام شالر William Shaler قنصل أمريكا في الجزائر**» والتي أفادتنا بكثرة في الفصلين الثاني والثالث حيث احتوى على معلومات متعددة حول مختلف شرائح المجتمع الجزائري ومظاهر الحياة الاجتماعية في الإيالة، ومصدر آخر «**Topographie et Histoire générale d'Alger**» للراهب الاسباني «دييغو دي هايدو» Diego De Haedo الذي يخدم المبحث الثاني من الفصل الثاني بإبراز بعض نشاطات المجتمع الجزائري ووصف احتفالاته وطبائعه وتقاليده المتنوعة، وكتاب للديبلوماسي الفرنسي «لوجي دي تاسي» Laugier De Tassy بعنوان «**Histoire du royaume d'Alger**» الذي يحمل أخباراً هامةً عن ممارسات فئة الأهالي والأتراك في المجتمع خلال القرن الثامن عشر، والذي اعتمدنا عليه أكثر في المبحث الأول من الفصل الثاني وفي الفصل الثالث كذلك، إضافة إلى مصدر آخر في غاية الأهمية لـ« Venture De Paradis » بعنوان «**Alger au XVIIIe siècle (1788-1790)**»

الذي لم نستغني عنه في وصف الحياة الاجتماعية ومكانة المرأة في المجتمع الجزائري وبعض العادات والتقاليد الموروثة... كما استقينا من هذا المصدر أخباراً عن فئات المجتمع وفعالياتها آنذاك، وغيرها من المصادر الغربية التي أرخت لإيالة الجزائر في الفترة الحديثة. وهذه الكتابات رغم تركيزها على الجانبين السياسي والعسكري إلا أنها تحمل معلومات مهمة، وأوصافاً دقيقة للمجتمع والحياة الاجتماعية بالجزائر في العهد العثماني.

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها والتي أفادتنا كثيراً في هذا الموضوع: كتاب «**الجزائر وأوروبا**» لـ«جون وولف» John Wolf الذي تجلى دوره بكثرة في الفصل الثاني بإبراز التنوع الذي عرفه مجتمع الإيالة الجزائرية بمختلف شرائحه بالخصوص فئة الأعلاج والأسرى والأتراك وأخلاقهم مع الإشارة إلى أعداد السكان، ووصف المؤلف مختلف المرافق العامة في المجتمع ومكانة المرأة ويومياتها... وكذلك كتاب لـ«وليام سبنسر» William Spencer بعنوان «**الجزائر في عهد رياس البحر**» الذي اعتمدنا عليه في الفصل الثالث بصفة خاصة حيث أن صاحبه دقق في وصف عادات وتقاليد المجتمع والأعياد مع إخباره لنا عن الزواج ونفوذ المرأة والتدقيق في تصوير لباسها، بالإضافة إلى مرجع آخر للمؤرخة «كورين شوفالييه» Corinne Chevalier والذي يحمل عنوان «**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541)**» الذي استفدنا منه كثيراً في الفصل الثاني في تقسيم التركيبة السكانية للإيالة في القرن 16م ونشاطات كل فئة خاصة اليهود، بالإضافة إلى الاعتماد على هذا المرجع كذلك في الفصل الثالث في عنصرا الطلاق والأخلاق خاصة، ومرجع آخر يتناول الجانب الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني لأبي العيد دودو بعنوان «**الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**» الذي استفدنا من أخباره العديدة التي تخدم دراستنا في الفصل الثالث عند الحديث عن عقود الزواج وشروطها، أجواء الحفلات والأعياد الدينية، طبائع السكان وعلاقاتهم بالمرافق العامة من مقاهي وحمامات... وغيرها من المراجع.

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من عراقيل تعترض الباحث، ومن الصعوبات التي صادفتها:

- صعوبة استقراء الخط اللاتيني القديم لبعض الكتب الفرنسية التي تختلف بعض الحروف التي كتبت بها عن الحروف الحالية، مع صعوبة فهم بعض المصطلحات الفرنسية القديمة التي لم تعد مستعملة الآن.

- تشابك وتداخل المعلومات التي تحملها هذه الكتابات الغربية عن المجتمع وتشابهها، ما صعب علينا أحياناً عملية الاقتباس ومقارنة المعلومات وتحليلها.
- صعوبة الوصول إلى بعض الكتب والمصادر الغربية والأرشيفات الموجودة في المكتبات الأوروبية والتي تخدم موضوع بحثنا.
- كون المادة العلمية في الكتابات الغربية قليلة فيما يخص الجانب الاجتماعي.

الفصل الأول

الكتابات الغربية وتناولها لتاريخ الجزائر الحديث

تمهيد:

إن الكتابات التاريخية منطلق أساسي للباحث أو المؤرخ في دراسة أو كتابة التاريخ، أما عن تاريخ الجزائر في العصر الحديث (العهد العثماني) فنجد أنفسنا أمام كتابات من أقلام محلية، كما نجد كتابات ومصادر كتبت عن الجزائر بأقلام أجنبية غربية من عدة جنسيات مختلفة (فرنسيون، ألمان، إسبان، برتغاليون، أمريكان..) وهذا بسبب احتكاكهم بالجزائر وسكانها وحكامها، ما أدى إلى تنوع المادة الإخبارية من رحلات، مذكرات أسرى ورهبان، تقارير القناصل... والتي تميزت بكثرة المعلومات التي تحتويها، ودقتها في الوصف وقيمتها التاريخية، مع اختلاف طبيعتها ومحتوياتها... وهذا ما جعلها محور اهتمام الباحثين والمؤرخين لتوسيع آفاق بحوثهم ودراساتهم، وللتعرف على نظرة الغرب للجزائر ومجتمعها في تلك الفترة من تاريخها.

المبحث الأول: الكتابات الغربية: مفهومها، أنواعها وطبيعتها

حظيت الجزائر خلال الوجود العثماني باهتمام الكثير من الدول، فقد جذبت المكانة التاريخية للإيالة عدة أجانب غربيين أسهموا في توثيق الكثير من الأحداث وأصدروا عدداً لا يُستهان به من المؤلفات والمذكرات التي أسهمت في تصوير الواقع الجزائري.

1- مفهوم الكتابات الغربية:

تُعرف الكتابات الغربية على أنها ما كتبه الغربيون من رحالة وقناصل وجواسيس ورهبان وسياح ومغامرين وأسرى، الذين هم أجانب ودخلاء على المجتمع الجزائري، أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن وتركوا انطباعاتهم التي أصبحت مصدراً مهماً في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، وقسم كبير من هذه الكتابات لا يمكن أن نستغني عنه أبداً، ففي كتب هؤلاء الغربيين شهادات وأوصافاً وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم الحكام وتحليلاً لحوادث خطيرة وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غير هذه الكتب [1].

كما تعتبر الكتابات الغربية عن الجزائر والجزائريين أثناء فترة التواجد العثماني من أهم المصادر التاريخية الضرورية لكتابة تاريخنا أثناء تلك الفترة الممتدة بين سنتي 1519م و1830م، ولا يمكن للباحث أن يستفيد منها إلا بمقارنتها بما هو متداول من مصادر محلية للوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها [2].

وتعني الكتابات الغربية أيضاً كل ما تم تدوينه من طرف الغربيين سواء على شكل مذكرات أو كتب أو تقارير أو مراسلات، وهي كلها تترجم الوضع العام للجزائر خلال الحكم العثماني، فقد عمد هؤلاء الأجانب على اختلاف مشاربهم (كتاب، شعراء، أطباء، رحالة، أسرى، عبيد، قناصل، جواسيس، سواح، علماء، رجال الدين..) كل حسب مجاله وهدفه، إلى الكتابة عن الجزائر، ونحن نعود إليها الآن لدراسة تاريخنا خلال تلك الفترة [3].

---

[1]- حميد آيت حبوش، أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر -العهد العثماني نموذجاً-، "الحوار المتوسطي"، ع2، جامعة وهران، الجزائر، 2010، ص72.

[2]- محمود بوكسيبة، مصادر تاريخ الجزائر (1519-1962)، https://elearning.univ-msila.dz/moodle/course/view.php?id=3826&lang=en - 2024/04/26 - 21:56.

[3]- المرجع نفسه، 2024/04/27 - 10:08.

نجد أن ما كتبه الغربيون من مختلف الجنسيات أفرز مادة علمية تميزت بغزارتها واختلاف طبيعتها ومضمونها [1]، فاتخذت هذه الكتابات محور اهتمام العديد من الدراسات. مما سمح للباحثين والدارسين بتوسيع آفاق البحث أكثر من خلال هذا التنوع من الاختلاف في الكتابة وحتى في طرح القضايا بوجهات نظر متعددة تتحكم فيها العديد من العوامل والمؤثرات [2].

فهناك ثروة طائلة من الوثائق التي كان يمكن للباحثين أن يستمدوا منها صورة الجزائر وسكانها، فقد زار الجزائر عدد معتبر من الغربيين الذين تركوا وراءهم حديثاً وأوصافاً تعبر عن تجاربهم هناك، وكانوا قد جاؤوا من مختلف الطبقات الاجتماعية الغربية، فبعضهم مثل «**هايدو**» Haedo و«**دان**» Dan كانوا قساوسة يعملون على افتداء الأرقاء المسيحيين، وكان « **مارمول** » Meramol Carvajal و« **دوكين** » Duquesne من الجنود، بينما كان « **مورغان** » Morgan و« **شاو** » Shaw من الأدباء والرحالة، وكان « **دولاكروا** » De LaCroix عالماً، وكان «**دابر**» Dabber جغرافياً هولندياً، بينما كان « **بناتي** » و « **هيز** » يتجسسان لمعرفة أماكن الضعف في الإيالة، أما « **فرانسيس نايت** » Francis Knight و « **أندرهيل** » Underhill و« دي روكفيل» De Roqueville فقد كانوا من الأرقاء، وكان الألماني « **هابنسترايت**» Habenstreit عالماً وطبيباً [3].

2- أنواع الكتابات الغربية:

أ- الرحلات:

هي مصادر غنية بمختلف الانطباعات والمشاهد التي وثقها الرحالة، كما تجدر الإشارة إلى أن النصوص الرحلية وسيط مهم من وسائط تلقي صورة الآخر، فقد اكتسبت مادة الرحلات - بصفة عامة- شعبية وتداولاً واسعاً بين القراء، كما حظيت أعمال بعض الرحالة بقدر كبير من الشهرة لم تنله الكثير من الأعمال الأدبية أو الإثنوغرافية المتخصصة، ذلك أن مادة الرحلات احتوت على الكثير من عناصر الخلق والإبداع، ويستمد أدب الرحلة أهميته

[1]- آمنة فاطمة زهرة العيايدة، أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830 (دراسة نماذج)، "مجلة دراسات في التنمية والمجتمع"، ع1، مجلد7، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ماي 2022، ص 104.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 104-105.

[3]- جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، تر و تع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 147 - 148.

من غزارة المعلومات التي يحويها والتفاصيل التي عكف الرحالة على تدوينها انطلاقاً من احتكاكهم المباشر بسكان البلدان التي قاموا بزيارتها [1].

كانت الرحلات الاستطلاعية الأوروبية إلى الجزائر منذ بداية الوجود العثماني فيها، إذ سبق لـ«نيكولاس نيكولاي» Nicolas De Nicolay [2] أن زار الجزائر عام 1551م حيث قدم وصفاً لمدينة الجزائر وبجاية وعنابة وهو في طريقه إلى اسطنبول [3] .

ومن الرحالة نذكر الدكتور الطبيب «شاو» (Thomas Shaw) الإنجليزي الذي كان كاهناً بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م، إذ استطاع شو أن يقدم عملاً نادراً بعنوان «**جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق**» في جزئين تضمنا أوصافاً دقيقةً وتفاصيل عن بلاد الجزائر، وخاصة عن ريفها ومنتجاتها وآدابها العربية، مثلما تضمن قليلاً من المعلومات عن الحياة السياسية والإدارية، بدأ نشر أعمال «شاو» Shaw بداية من سنة 1758م، أما آخر طبعة فكانت عام 1930م بباريس تحمل عنوان «**رحلة في إيالة الجزائر**» [4].

توافد العديد من الرحالة الأوروبيين على الجزائر لاستطلاع الوضع الداخلي، وتباينت أهداف رحلاتهم بين الاستكشافية والعسكرية والعلمية وغيرها.. غير أن هذه الرحلات تلتقي في نقطة مهمة وهي محاولة التقرب من الآخر الجزائري والتعرف على طبائعه [5] .

فقد كانت لكتابات الرحالة أثراً بالغاً في تمثيل الآخر والخوض في تفاصيله، ولما كان الشرق من الأمصار التي شكلت علامة استفهام بالنسبة للأنا الأوروبي، فقد شهد على مر القرون توافد الكثير من الرحالة الأوروبيين الذين قدموا من مختلف الأقطار هروباً من

---

[1]- شفيق بوطرافة، الجزائر في مذكرات الأسرى الأوروبيين –قراءة في نماذج-، "التواصل الأدبي"، ع2، مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، جوان 2022، ص 71 .

[2]- نيكولاس دي نيكولاي جغرافي وجندي فرنسي ولد سنة 1517م بمدينة لاغراف الفرنسية. كان مقرباً لدى بلاط ملك فرنسا هنري الثاني، نشر كتاباً عن رحلاته سنة 1568م، وقد زار الجزائر سنة 1551م وأورد في كتابه وصفاً عاماً للإيالة. توفي سنة 1583م.

[3]- احميده عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص9 .

[4]- المرجع نفسه، ص10.

[5]- حواء حنكة و عبد القادر كركار، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، "مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، مجلد15، ع1، مخبر تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، جامعة الوادي، الجزائر، جانفي 2023، ص 4.

طغيان الماديات التي ألقت بظلالها على حياة الأوروبيين، الأمر الذي دفع بالكثير من الأدباء والعلماء والإثنوغرافيين إلى التوجه نحو المنطقة في محاولة منهم لاكتناه أسرار هذا العالم [1].

وفي هذا الإطار تحتل رحلة الطبيب والعالم النباتي الألماني الدكتور «ج. أو. هابنسترايت» (J. E. Hebenstreit) مكانة خاصة، فهي تقدم صورة لأقطار المغرب العربي (الجزائر- تونس- طرابلس) في النصف الأول من القرن الـ18م أقرب ما تكون إلى الاعتدال والموضوعية والنظرة المتزنة بالمقارنة مع باقي الكتابات المعاصرة لها، بل تعتبر مع اختصارها أكثر دقة مما تضمنته رحلة الطبيب الإنجليزي «شاو» Shaw (1738م) [2].

ومن أشهر رحلات القرن الثامن عشر رحلة «جون أندري بايسونال»[3] Peyssonnel الذي جاء إلى سواحل شمال إفريقيا خلال سنتي 1724 و1725م ضمن مهمة علمية لدراسة طبيعة المرجان وكذلك لإتمام أبحاثه حول الطاعون، وألف كتاباً حول رحلته سماه « **قصة رحلة على سواحل بربارياً**»، وقد شمل العديد من الملاحظات العلمية الهامة، وقدم عملاً هاماً عن الجزائر تضمن معلومات جغرافية و طبيعية واجتماعية قيمة [4].

ب- المذكرات:

تعرف المذكرات على أنها يوميات تعكس انطباعات حية وأحداثاً وقعت، سجلها كاتبها باليوم وأحياناً بساعة وقوعها، فهي بالغة الأهمية بما تقدم من المعلومات وأكثرها مما يصفه وصف شاهد عيان للأحداث، على صاحب المذكرات أن يكون شخصاً بعيداً عن التأثر بالأهواء والعواطف الشخصية وأن يتسم سرده بدرجة عالية من النزاهة والأمانة [5].

إن هيمنة الجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط مكنها من الظفر بالكثير من المعارك والحروب وأسر الكثير من الأوروبيين والأمريكان (أدباء، عسكريين، علماء

[1]- شفيق بوطرافة، المرجع السابق، ص 72.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م) ، تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007، ص 12.

[3]- جان أندري بايسونال Jean-André Peyssonnel هو طبيب وعالم نبات فرنسي ولد سنة 1694م بمرسيليا وتوفي سنة 1759م. خلال سنتي 1724 و1725م ألف كتابه "قصة رحلة على سواحل بربارياً" الذي يتوج تجربة رحلته في الجزائر وشمال إفريقيا ضمن مهمة علمية.

[4]- إلياس سبوعي، صورة الجزائر من خلال أدب الرحلة الأوروبية في القرنين 17 و18م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2023/2022، ص 57.

[5]- جيمس لندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر و تع و تق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 4.

وأطباء، جواسيس وإثنوغرافيين..) وقد وثق هؤلاء الأسرى مدة أسرهم لحظة بلحظة في شكل يوميات ومذكرات مما يجعل من كتاباتهم عيناً مفتوحةً على الواقع الجزائري في فترة مهمة من تاريخ الجزائر، إذ ساهمت مذكرات الأسرى الغربيين في تمثيل صورة الآخر الجزائري وتمكنت من تصوير جميع مناحي حياته، مما يجعل هذه الكتابات من المصادر التاريخية والطبوغرافية والإثنوغرافية والاقتصادية...[1].

ومن أشهر مذكرات الغربيين حول الجزائر «**مذكرات جيمس ليندر كاثكارت**» Cathcart وقد تناول في مذكراته العلاقات الجزائرية الأمريكية وهي المصدر الأساسي والوحيد في هذا المجال في أواخر القرن الـ18م، وذلك لأن «كاثكارت» هو الذي تولى المفاوضات مع الداي، كما تطرق في مذكراته إلى علاقات الجزائر بالدول الأوروبية، وأشار كذلك إلى المؤسسات والمنشات العمومية ووصفها وصفا دقيقاً، فيتحدث بصفته شاهد عيان[2]...

وكذلك «**مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)**» التي تضم حقائق وشهادات، وأيضاً آراء ومواقف عدائية تجاه الجزائر، وإنه لمن حسن الحظ أنه لا يمكن أن تختلط هذه بتلك في ذهن القارئ الواعي الذي يبحث عن الحقيقة، لذا يمكن الاستفادة من هذه الوثيقة التي لا نظير لها في تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة[3].

وأيضاً «**مذكرات تيدنا**» Thédenat (فرنسي تعرض للأسر بالجزائر أواخر ق18م) التي هي مادة مصدرية هامة تحدثت عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وقدم لنا تيدنا صورة عن المجتمع الجزائري آنذاك وطبيعته، فيكون بكتابته لهذه المذكرات قد خدم المؤرخين عموماً[4].

إضافة إلى «**مذكرات سيمون بفايفر**» Simon Pfeiffer الذي أسر من طرف الإنكشارية في اليونان ونقل إلى الجزائر والذي دام أسره خمس سنوات، سجل خلالها كل ما كان يعيشه يومياً، وبعدما عاد إلى ألمانيا سنة 1830م كتب ونشر مذكراته بعد عامين بعنوان

[1]- شفيق بوطرافة، المرجع السابق، ص 74.
[2]- حميد آيت حبوش، نظرة المصادر الأوروبية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني، "عصور"، ع1، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 117.
[3]- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 18.
[4]- احميده عميراوي، المرجع السابق، ص 137.

«**رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر**» والتي تعد مصدراً هاماً في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي[1] .

ج- مراسلات القناصل:

خلال العصر الحديث وخصوصاً بداية القرن الـ19م، كان التواصل الدبلوماسي يتم عبر تبادل المراسلات الرسمية والتي تكون في العادة موضوعاتها إما لجانب استخباراتي تكون فيه عملية الإخبار حول الأوضاع السياسية للبلاد التي يقبع فيها القنصل، أو رصد تحركات سفن القرصنة وتقدير عدد الجنود، كذلك الإخبار حول الأوضاع الاقتصادية وطرق المعاملات التجارية ومراقبة الأسعار والسلع والسفن الوافدة للدول الأجنبية لميناء الجزائر[2] .

كانت أوضاع الجزائر الداخلية غير خفية على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل والتجار، فالقناصل المعتمدون بالجزائر يمثلون بلدانهم لدى الجزائر ويقدمون التقارير المفصلة حول أوضاع الإيالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية [3].

ومن بين هؤلاء القناصل الذين تواجدوا بالجزائر نجد القنصل «**ديبوا تانفيل**»[4] **Dubois Thainville** الذي كانت له عدة مراسلات مع الوزير «تاليران» والتي شملت عديد القضايا: سياسية، اجتماعية، واقتصادية، وكان له دوراً بارزاً في تسيير العلاقات مع الجزائر ومع الداي مصطفى تحديداً، فقد استطاع توقيع هدنة 1800م معه لإرساء حالة السلم بين البلدين [5].

لذا عرفت المراسلات الديبلوماسية بين القنصل الفرنسي بالجزائر «ديبوا تانفيل» Dubois Thainville ووزيره للخارجية «تاليران» زخماً كبيراً من تبادل الرسائل المهمة والتي كان معظمها حول المعلومات الاستخبارية لأوضاع الجزائر وتحركاتها في عرض

[1]- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق وتر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 6 – 7.

[2]- موسى العاشوري، مراسلات القنصل ديبوا تانفيل مع وزير الخارجية الفرنسي تاليران (1800-1805) من خلال وثائق أرشيفية، "المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية "، ع 1، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2023، ص 181.

[3]- حمدون بن عتو، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين -الكتابات الفرنسية والاسبانية نموذجاً-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2016، ص 35.

[4]- ديبوا تانفيل سياسي فرنسي وأحد قادة جيش تحرير سجن الباستيل. كان له الفضل في إبرام الصلح بين الجزائر وفرنسا ليتم تعيينه قنصلاً عاماً بالجزائر سنة 1800م. وبفضل حنكته شهدت فرنسا تطوراً في العلاقات التجارية مع يهود الجزائر.

[5]- موسى العاشوري، المرجع السابق، ص 181.

البحر الأبيض المتوسط وحركة السفن البحرية والتجارية وأيضاً اجتماع الديوان مع مبعوثين وقناصل الدول الأوروبية...[1]

د- تقارير الجواسيس:

هي كتابات وتقارير كتبها مجموعة من الجواسيس الغربيين الذين أرسلوا إلى الجزائر والتي أصبحت محل اهتماماتهم خصوصاً بعد بروز مظاهر الضعف والتدهور للحياة السياسية والاجتماعية لإيالة الجزائر في العقدين الأول والثاني من القرن 19م، وتراجع قوة الجزائر العسكرية البرية والبحرية وتنامي الأطماع الفرنسية في احتلال الجزائر بوضع خطط ومشاريع غزو والتحريض على الاحتلال [2].

لقد استعملت بعض الدول الأوروبية والغربية في الجزائر جواسيساً من الرحالين والأسرى الموجودين في السجون، أو العاملين في القصور عند الدايات، بالإضافة إلى المقيمين في الجزائر والمدن الساحلية تحت غطاء التجارة أو دراسة الآثار والنباتات والحيوانات أو في إطار البحوث الطبية، فالرحالة الاسكتلندي «**ويليام لايتغو**» William Lightgow الذي زار الجزائر سنة 1615م وصف مدينة الجزائر، وبين نقطة الضعف الدفاعية للمدينة، أي المكان المناسب لدخول القوات المعادية، كما وصل به الأمر أن يحدد الوقت المناسب للهجوم [3] .

أما «**فرنتيسكو خيمينيت**» Francisco Ximenes الذي جاء إلى الجزائر تحت غطاء تحرير الأسرى في وهران، ألف ثلاث مجلدات تخص رحلته إلى وهران والجزائر من 1717م إلى 1720م، ونلاحظ أن توقيت زيارته كانت في فترة حرجة ما لبثت وهران أن تم احتلالها للمرة الثانية سنة 1732م، مما يرجح أن تكون الجوسسة من ضمن مهامه التي جاء من أجلها إلى الجزائر، وقد اعترف «خيمينيت» Ximenes بنفسه بقوله: « ظن الباي أننا قد نكون من الجواسيس الذين جاؤوا لمعاينة المكان»[4].

[1]- موسى العاشوري، المرجع السابق، ص 190 .
[2]- محمد دراعو و معمر لعايب، الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال (1830م) ، "المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية"، ع2، مجلد 14، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2022، ص 70.
[3]- حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص 35 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 36 .

هـ- الوثائق الأرشيفية:

وقد تكونت على إثر العلاقات السياسية والمعاملات الاقتصادية النشطة والاتصالات الدبلوماسية والتبشيرية المتكررة، والتي قام بها في الغالب رجال الدين وقناصل وأسرى أوروبيون وتجار من موانئ البحر المتوسط الشمالية، مع مدينة الجزائر مركز الحكم ومقر الإدارة وقاعدة النشاط البحري، وذلك قبل أن تصبح الجزائر محل اهتمام خاص من الفرنسيين إثر احتلالهم لها سنة 1830م وحرصهم في السنوات الأولى لحكمهم على تسجيل كل ما يحتاجونه من معلومات، وهذا ما وفر لنا فيما بعد رصيداً غنياً من الوثائق بمختلف الأرشيفات الأوروبية [1] .

فيمكن اعتبار هذه الوثائق الأرشيفية سبيلاً مهماً لتناول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، لذا يستوجب على الباحثين استغلالها، والسعي إلى دراسة مجموعة من القضايا التي ظلت عسيرة الفهم وصعبة التفسير [2] .

بالإضافة إلى ما يوجد من وثائق مهمة حول إيالة الجزائر في أرشيف السمنكاس بمدينة بلد الوليد وبرشلونة (اسبانيا)، وراغوست- دوبروفنيك (كرواتيا)، والفاتيكان، ليفورن، البندقية، نابولي، جنوة (إيطاليا)، مالطة ولندن، كما تحتل محفوظات الوثائق الفرنسية مكانة خاصة ووضعاً مميزاً، إذ تعتبر المصدر الأساسي للوثائق الخاصة بالجزائر خارج البلاد الجزائرية، وهي في أغلبها تقارير وتعليمات وتسجيلات ومراسلات خاصة تعود بداياتها إلى عهد «فرانسوا الأول» François I وخير الدين بربروس (القرن الـ16م) وتستند في أساسها إلى الامتيازات التجارية المعروفة بالاحتكارات الفرنسية بالموانئ الجزائرية، ويتصل قسم منها بالعلاقات الديبلوماسية بين فرنسا والجزائر [3].

ومن أهم الأرشيفات الفرنسية: الأرشيف الوطني لما وراء البحر بإكس-أن-بروفانس Aix-en-Provence، أرشيف وزارة الحرب بقصر فانسان Vincennes، الأرشيف الوطني بباريس، وأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا [4] .

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 91 .

[2]- حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 101 .

[3]- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 91 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 92 .

و- الروايات الأدبية والأشعار:

والتي وجدت على شكل كتابات (كتب ودواوين)، وتعد من المصادر البيبليوغرافية المهمة، باعتبارها مصادر أولية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، ونذكر منها كتاب « Slaves in Algiers » وهو عبارة عن رواية أدبية للكاتبة «سوزانا راونس» Susanna Rowans صدرت عام 1794م، تحكي معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر، ولا يزال حتى الآن يصدر في طبعات جديدة ويباع بأثمان غالية.

إضافة إلى رواية شعرية صدرت عام 1671م للشاعر الإنجليزي I. Balthorpe بعنوان « The straights Voyage : Or St. David's poem » يروي فيه على شكل قصائد حملة سنة 1669م على مدينة الجزائر تحت قيادة السير توماس، كما توجد مجموعة أشعار كتبت بعد قصف اللورد إكسموث لمدينة الجزائر في سنة 1816م والتي تحمل عنوان « The Bombardement of Algiers and other poems» وبالرغم من كونها أشعار إلا أنها تعتبر شهادات حية لأحداث مهمة دونت وصارت من المصادر التاريخية [1].

وعن الروايات الجغرافية المونوغرافية، يمكن اعتبار رواية «توماس سميث» إحدى أكثر الروايات أهمية، فقد قدم لنا معلومات هامة عن بايلك التيطري، كما أنه تعامل مع مختلف طبقات المجتمع، ويصف لنا الراوي العلاقة بين السلطة العثمانية وعرب المناطق الداخلية [2].

كما توجد مجموعة أغاني شعبية عن الأسرى المحررين من الجزائر، ومسرحيات أشهرها « The fall of Algiers » وهي مسرحية من ثلاثة فصول عرضت في لندن سنة 1825م، إضافة إلى مجموعة صور ولوحات فنية تخص جيجل والجزائر أواخر القرن الـ17م، متواجدة بالمتحف البريطاني [3].

[1]- بلقاسم قرباج، تاريخ الجزائر العثمانية في الكتابات الإنجليزية، "مجلة عصور الجديدة"، ع11-12، مختبر البحث التاريخي -تاريخ الجزائر-، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص 231.

[2]- بلقاسم قرباش، المجتمع الجزائري من خلال كتابات الأسرى والرحالة الإنجليز (1595-1830م)، https://www.researchgate.net/publication/307955046 -2024/05/19-18:38.

[3]- بلقاسم قرباج، المرجع السابق، ص 232 .

3- طبيعة الكتابات الغربية:

اتسمت الكتابات الغربية عن تاريخ الجزائر خلال الوجود العثماني بتنوعها وهي ذات لغات وجنسيات مختلفة، وهي أيضاً عبارة عن رحلات أو تقارير أو مذكرات ألفت من طرف الغربيين من أوروبا وأمريكا الذين تعرفوا على المنطقة... وكلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية أو في حوض البحر الأبيض المتوسط زاد اهتمام وتتبع الغربيين إلى كل ما يحدث بالإيالة ليصبح موضوع دراسة [1].

كما كان لظهور التيار الديني المتعصب في أوروبا والصراع المسيحي الإسلامي أثراً جلياً على طبيعة هذه الكتابات، حيث ظهرت فيها مخططات عديدة لتفكيك الدولة العثمانية وتحطيمها والقضاء على الخلافة الإسلامية، وتبنت أحكاماً مسبقة ضد المسلمين بما فيهم الجزائريين وصورتهم في أسوء الصور[2].

ومعظم ما كتبه الغربيون حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني يمثل وجهة نظر الغرب، لاهتماماتهم بالتاريخ الجزائري وجوانبه وموضوعاته الهاشمية، كما أن لا بد من القول أن طبيعة هذه الكتابات كانت استعمارية، وأغلبيتها كانت تحمل عداءاً شديداً للجزائر واعتبرت الفترة الحديثة من تاريخها غير جديرة بالبحث[3].

نستنتج أن ما دونه الغربيون عن الجزائر خلال العهد العثماني أنتج مادة إخبارية تميزت بغنى المعلومات التي تحويها وتنوعها، وذلك على شكل مؤلفات، مذكرات، رحلات، تقارير... وهذا بالتركيز المفرط والمطلق على المواضيع التي تهم القضايا الأوروبية (الأسرى، القرصنة، الإتاوات، المعاهدات..) مع اختلاف طبيعتها ومضامينها... إلا أن تنوعها في المادة الإخبارية عمل على توسيع آفاق البحث لدى الدارسين والباحثين.

---

[1]- مولاي بلحميسي، المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني، "مجلة الأصالة"، ع14، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 71.

[2]- حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص 53.

[3]- محمد دبوب، الفترة العثمانية وطبيعة الكتابات التاريخية حولها (1516-1830)، "مجلة الحقيقة"، ع43، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2018، ص 452.

المبحث الثاني: خصائص الكتابات الغربية وأهميتها

تعددت الكتابات الغربية عن الجزائر وتاريخها خلال الوجود العثماني مع اختلاف مضامينها والأخبار التي تحملها، لذا يظهر أن لهذه الكتابات خصائص وسمات تتميز بها سواء كانت محاسناً أو عيوباً، وكذلك أهمية بالغة في كتابة تاريخ الجزائر في هذه الفترة.

1- خصائص الكتابات الغربية:

أ- المحاسن والإيجابيات:

- اهتمام أغلب الغربيين الذين قدموا إلى الجزائر بغية استطلاع واستكشاف مناطقها بالكتابة عن الوضع السياسي، وكتبوا عنه رغم اختلاف اختصاصاتهم ودوافعهم وتوجهاتهم، فقد نقلوا لنا من خلال مؤلفاتهم ظروف البلاد السياسية خلال الفترة العثمانية، تحدثوا فيها عن جوانب عديدة تخص الجزائر وقوتها، وظروف تولية الحكام الأتراك والاغتيالات التي تعرضوا لها، كما تحدثوا عن ثورات وتمردات السكان، كما اهتموا بذكر السياسة الدفاعية التي تنتهجها الجزائر للذود عن مناطقها وحمايتها من الغزاة، والعلاقات السياسية مع دول أوروبا فيما يتعلق بالمفاوضات وتوقيع المعاهدات [1].

- اتفاق كتابات الغربيين في تجسيد الجزائر والجزائريين في صور مترنحة بين الواقع والخيال مثل: تصوير الإنسان الجزائري في صورة المتمرد والشجاع، فهي صورة أثبتها التاريخ وشهد بها حتى العدو، فقد اعترف الكثير من الفرنسيين بشجاعة الجزائري وإقدامه وبأسه... هذه الميزة التي لازمت المرأة الجزائرية أيضاً فكانت أن حيرت الكثير من الرحالة الذين اندهشوا من تمسكها بأرضها وبمشاركتها الفعالة في المعارك إلى جانب الرجال[2] .

- اعتماد الكتاب الفرنسيون على استعمال المصادر الأوروبية ووثائق الأرشيف الرسمية والتجارية، كما استعملوا في أغلب الأحيان مصادر أخرى يتألف أكثرها من مذكرات الرحالة ومراسلات القناصل وحكايات المسافرين وتقارير البحارة وانطباعات الرهبان والجواسيس، لكونها تتضمن المادة الخام في مثل هذه الدراسات [3] .

---

[1]- حواء حنكة و عبد القادر كركار ، المرجع السابق ، ص 12 .
[2]- شفيق بوطرافة ، المرجع السابق ، ص 95 .
[3]- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 32 .

- تنوع الكتابات الغربية وغزارتها وهي ذات جنسيات مختلفة منها الفرنسية، الاسبانية، والإيطالية، الإنجليزية، والأمريكية.. وغطت هذه الكتابات جوانب الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر، بل تجاوز البعض منهم إلى دراسة الحيوانات والنباتات والمعادن، فكلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية كلما تحول شعور الغربيين إلى تخوف أو إلى سخط كانا أقوى دافع إلى تتبع كل ما يحدث في بلادنا ليصبح موضوع دراسة أو تحليل[1] .

- عدم تحدث الكتاب الغربيين عن الجانب الثقافي في الجزائر بشكل كثير، في حين أسهبوا في الجوانب الأخرى، حيث يكاد يتفق كل الغربيين على رأي واحد حول التعليم الذي كان سائداً آنذاك، فهم يمرون على هذا الموضوع في كتاباتهم مرور الكرام فلا يلقون له بالاً لاعتقادهم بعدم وجود حياة ثقافية تستحق الذكر، ما عدا حفظ وتعلم القران الكريم والذي يكون في الغالب داخل المساجد [2] .

- المصادر الغربية عن الجزائر خلال القرنين الـ16م والـ17م جد مفيدة لفهم بعض الأحداث التاريخية وجوانب من النظم السياسية والعسكرية رغم ما تحمله من عيوب، إلا أن من إيجابياتها تميزها بالموضوعية وتبقى بالنسبة للباحث ذات قيمة تاريخية لا يمكن إنكارها، ومن مؤلفات تلك الحقبة نذكر على سبيل المثال «**تاريخ ملوك الجزائر**» الذي ينسب للأب «**هايدو**» Haedo، و«**تاريخ بلاد البربر وقراصنتها**» للأب «**بيار دان**» Pierre Dan، ورواية «**سبع سنوات أسر**» لـ«**فرنسيس نايت**» Francis Knight... [3].

- كون الكتابات الغربية قليلة خلال القرنين الـ16 والـ17م وهذا نظراً للظروف العامة أثناء هذه الفترة والتي تميزت بكونها فترة صراع بين المسلمين والمسيحيين، وبروز دور الجزائر كقوة بحرية رجحت موازين القوى، مع ظهور التيار الديني المتعصب... كل ذلك أثر على إيديولوجيات الكتابة عن الجزائر آنذاك، رغم ذلك إلا أنها أعطت رؤية مجهولة لم تتطرق إليها المصادر الأخرى [4] .

---

[1]- حميد آيت حبوش ، المرجع السابق ، ص 124 .
[2]- حمدون بن عتو ، المرجع السابق ، ص 56 .
[3]- أمين محرز، نبذة عن المصادر الأوروبية حول تاريخ الجزائر الحديث، http://moodle.univ-dbkm.dz/mod/resource/view.php?id=15092-2024/04/28-13:51.
[4]- محمود بوكسيبة ، المرجع السابق ، 2024/04/28 – 13:58 .

- أما المصادر التي كتبت في القرن الـ18م تميزت عن غيرها بغنى محتواها بالمعلومات التاريخية وباعتمادها على منهج أكثر موضوعية واشتهارها في أوساط الباحثين.

- تميز كتابات هذه الفترة بظهور تيار فكري نادى برفض الذهنية الموروثة عن القرنين السادس عشر والسابع عشر، أي إعادة النظر في تقييم الغير وكتابة التاريخ دون ذاتية وترك الأفكار المسبقة والعصبية الدينية، كما امتاز كتاب هذه الفترة بمستواهم الفكري ومنظورهم الجاد والجديد، فهم لم يعودوا أسرى أو آباء الفداء بل أصبحوا عملاء، باحثين، مغامرين وكان منهم الديبلوماسيين والعلماء، وكذا الرحالة وفدوا إلى الجزائر بمحض الإرادة، منهم **لوجي دي تاسي**[1] والدكتور **توماس شاو** وكذلك **جان أندري بايسونال** [2] .

- تنوع وتعدد الكتابات الأجنبية الغربية أثناء القرن 18م وبداية القرن الـ19م، ومن أشهر الكتابات في هذه المرحلة فضلاً عن كتابات الجواسيس والقناصل: كتابات «**لوروى**»[3] LeRoy الذي نادى بإعطاء نظرة جديدة عن الجزائر، والألماني «**سيمون بفايفر**»[4] Simon Pfeiffer صاحب كتاب «**رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر**» [5] .

- تميز كتابات القرن الـ18م بكونها أكثر تخصصاً وأغزر مادة، وأقرب إلى المنهج الحديث في كتابة التاريخ، رغم اقتصارها على استعمال المصادر الغربية والوثائق الأوروبية والتقارير الفرنسية، مهملة في أغلب الأحيان المصادر المحلية العربية منها والعثمانية مثل المخطوطات والرسائل والأرشيفات والعرائض والتقارير التي كتبها جزائريون معاصرون للأحداث [6] .

- تنوع وتعدد كتابات الرحالة عن الجزائر في الفترة الحديثة واحتوائها على الكثير من الأخبار القيمة مع ابتعادها عن الأسلوب الأكاديمي الجاف والمادة التجريدية، لهذا فإنها تقدم

[1]- لوجي دي تاسي Laugier De Tassy هو ديبلوماسي فرنسي قدم إلى الجزائر وأقام فيها خلال القرن 18م. ألف كتاباً سنة 1724م يحمل عنوان "تاريخ مملكة الجزائر" يصف فيه الجزائر اجتماعياً، اقتصادياً وجغرافياً.

[2]- أمين محرز، المرجع السابق، 2024/04/28 – 14:19.

[3]- جاست جان إيتيان روى Just-Jean-Etienne Roy كاتب فرنسي، ولد عام 1794 بفرنسا. ألف حوالي 200 كتاب في التاريخ العام، كما كتب عن الجزائر كتاب « Illustrations de l'histoire d'Algérie ». توفي سنة 1871 بباريس.

[4]- سيمون بفايفر Simon Pfeiffer هو بحارة ألماني ولد بمنطقة راينهيسن حوالي 1810م. تعرض للأسر من طرف إنكشاريين أرسلوه على متن سفينة إلى الجزائر سنة 1825م، عمل طاهياً وطبيباً في قصر الخزناجي. أطلق سراحه ليعود إلى بلاده سنة 1830م ويصدر كتاباً عن سنوات أسره بالجزائر. (سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر).

[5]- المرجع نفسه، ص 15.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 18.

صورة الغير لقرائها، وترسخ مجموعة من الانطباعات العامة والتصورات، صادقة كانت أم خاطئة، فقد كان لهذه الكتابات أثراً بالغاً في تمثيل الآخر الجزائري والخوض في تفاصيله [1] .

ب- النقائص والعيوب:

- الكتابات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية التي تمت على يد الغربيين بالرغم من نظرة الاختلاف في استعمال المصادر، إلى أنها تهدف بالأساس إلى خدمة الاستعمار الفرنسي في مجال التاريخ، وإخضاع منهجية التاريخ إلى واقع الاحتلال ومرامي السياسة الاستعمارية، أدت هذه النظرة المغرضة إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبرت هذه الكتابات الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة، وأنها منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكام [2].

- تقديم هذه الكتابات صورة عن تاريخ الجزائر تبعد الجزائريين عن الوعي بماضيهم وتصرفهم عن التعلق بمآثره والالتزام بقضاياه، مما جعل هذا الإنتاج يبتعد إلى حد كبير عن الموضوعية والحياد ويرتبط بخدمة الأغراض الاستعمارية والأهداف السياسية، فلم تتخلص أغلب هذه الدراسات من المنظور الاستعماري [3].

- عدم اختلاف نظرة الكتاب الغربيين إلى الجزائر العثمانية، فأغلب هذه الكتابات تستقي نظرتها من مصادرها الغربية (شهادة الأسرى وتقارير القناصل ومنظمات افتداء الأسرى) دون العودة إلى المصادر المحلية مع الإهمال المتعمد للمصادر العربية والعثمانية التي تعد طرفاً مهماً في كتابة تاريخ هذا البلد [4].

- تجسيد مذكرات الأسرى الإنسان الجزائري في صورة الإنسان العجائبي الغارق في الخرافة والجنون وذلك بسبب تبني بعض الجزائريين لجملة من الأفكار الخرافية غير المنطقية وإيمانهم بترهات الدراويش والمشعوذين، ومثلت الحكام العثمانيين في صورة الحكام الغلاظ والهمجيين واعتبرت تمرد الجزائريين عليهم أمراً طبيعياً [5].

---

[1]- شفيق بوطرافة، المرجع السابق، ص 72.
[2]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 119.
[3]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 18.
[4]- بلقاسم قرباش، دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر العثماني، "مجلة رفوف"، ع4، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، ماي 2014، ص 137.
[5]- شفيق بوطرافة ، المرجع السابق ، ص 95 .

- عدم تغطيتها للفترات التاريخية المختلفة، وعدم تطرقها إلى مختلف أوجه الحياة، بل ركزت على الجوانب السياسية، وهذا ما يسمح لنا بالقول بأنها لم تنطلق من البداية ولم تصل إلى النهاية، وظلت تتصف بقلة العمق وسرعة الأحكام وسطحية التفسير وتحيز المواقف، مما يوجب إخضاعها للتمحيص والمقارنة والنقد عند قراءتها أو الرجوع إليها [1].

- إن جل ما كتب حول الفترة العثمانية يعتبر بالنسبة لاهتمامات التاريخ الجزائري من قبيل القضايا الجانبية والموضوعات الهامشية، بحيث ظل الاهتمام والتركيز منصباً على مدينة الجزائر وما يهم الأوروبيين من نشاطها مثل الاحتكارات التجارية ومشاكل القرصنة المتعلقة بفداء الأسرى ودفع الإتاوات والهدايا من طرف الدول الأوروبية، وما أنجر عن هذا النشاط من أعمال فدائية وغارات وهجمات انتقامية شنها الأوروبيون على السواحل الجزائرية، وحتى إن تجاوزت هذه الكتابات مدينة الجزائر فلا تبرز أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الانتقامية للحكام الأتراك والاعتداءات المتكررة لرجال البايليك .. [2]

- أغلب هذه الكتابات تصب في قالب واحد هو: اللصوصية، القرصنة، القسوة، العبودية، دون الإشارة إلى أعمال قراصنتهم أو المسلمين الذين كانوا يعدمون يوميا في روما، وها هو **ماتاي** يميز بين الأخوين بربروس فيصفهما بمصطلح Les deux frères pirates ، أما «أندريا دويا» فيقول عنهما Corsaires، وكلمة Pirates هي كنية سيئة عن البحارة الخارجون عن القانون، أما Corsaires فتطلق على البحارة المخولون من طرف الدولة [3] .

- كون الكتابات الغربية مجرد كتابات تراكمية تطلبت مصالح منظمات الافتداء تدوينها من أجل إعطاء صورة قاتمة حول هؤلاء البربر المتوحشين وما يعانيه إخوتهم في الدين من اضطهاد وعبودية في هذه المناطق [4] .

- تصوير مذكرات الأسرى الإنسان الجزائري اليهودي في صورة الخائن والماكر وهي صورة سلبية ستظل وصمة عار على جبين هؤلاء .

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 18 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 33 .
[3]- بلقاسم قرباش ، المرجع السابق ، ص 142 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 144 .

- كما صورت العمران في صورة منفرة بفعل هندستها المتعبة التي تسيء لثقافة أهلها، وتجدر الإشارة إلى أن تصوير العمران الجزائري في صورة هشة وغير جميلة إنما سببها نظرة الأسير الأوروبي لعمران الجزائر [1] .

- تركيز المؤلفون الغربيون جل اهتماماتهم على القرصنة واستعباد النصارى وظروف إقامة الأسرى وما يعانون من بؤس وشقاء وأوجاع وآلام، ووصفوا الحكم بأبشع الصفات ومعظم هؤلاء المؤلفين من رجال الدين الذين تستروا وراء أهداف معلنة كافتداء الأسرى لتحقيق مآربهم الخفية التي كشفها أبناء جلدتهم أنفسهم [2] .

- تشويه الصورة الثقافية للجزائريين بسبب التعصب في الرؤية انطلاقاً من عقدة التفوق والمركزية عند الأوروبي، ومن ذلك ما ورد في بعض متون المذكرات التي بالغت في تصوير الجزائري في صورة الجاهل والعجائبي وهي صورة متشابهة لما نقله الرحالة الأمير «**بوكلر موسكاو**» و«**غوستاف فلوبير**» وغيرهم بنسب متفاوتة، فتصورات الرحالة عن الآخر الجزائري كانت خاضعة لصور نمطية مترسبة في الذاكرة الجماعية للمجتمع الغربي، مما يلغي الإيمان بالتعدد الفكري والثقافي والديني...[3]

فمثلاً يقول «**وليام شالر**» William Shaler في مذكراته: «...إن حالة العلوم مما لا جدوى فيه الحديث عنها حيث أنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة، محتقرة بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز...» [4] .

- اشتراك هذه الكتابات في الأحكام المسبقة، وهذا ما دام هؤلاء الكتاب كانوا مسيحيين يكنون عداءاً شديداً للإسلام، ومن سوء الحظ أن المسلمين، سواء منهم الرسميون والجنود والتجار، الذين عاشوا في الجزائر أو زاروها لم يتركوا لنا إلا القليل من الوثائق التي يمكن تصفحها والإطلاع عليها [5].

[1]- شفيق بوطرفة ، المرجع السابق ، ص 95 .
[2]- حمدون بن عتو ، المرجع السابق ، ص 56 .
[3]- شفيق بوطرفة ، المرجع السابق ، ص 96 .
[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 81 .
[5]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 148 .

2- أهمية الكتابات الغربية في تناول تاريخ الجزائر الحديث:

تعتبر هذه الكتابات مصادر مهمة لكتابة تاريخنا رغم ما تحمله من نزعة تعبر أحياناً عن نظرة الآخر وليست دائماً مطابقة للواقع والحقيقة، كما أنها تسلط الضوء على نقاط غير موجودة في الكتابات المحلية...[1] وسنتطرق إلى أهمية هذه الكتابات في كتابة ودراسة تاريخ الجزائر الحديث.

- إنه من الصعب الخوض في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني دون الإطلاع على ما كتبه الغربيون الذين هم أجانب ودخلاء عن المجتمع الجزائري، أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن تركوا انطباعاتهم التي أصبحت مصدراً مهماً في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، وقسم كبير من هذه الكتابات لا يمكن أن نستغني عنها أبداً، ففي كتب هؤلاء الغربيين شهادات وأوصافاً وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم الحكام وتحليلات لحوادث خطيرة، وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غير هذه الكتب [2] .

- خلق لنا تنوع كتابات الغربيين مادة علمية تميزت بغزارتها واختلاف طبيعتها ومضمونها، واتخذت هذه الكتابات محور اهتمام العديد من الدراسات نظراً لما تحتويه من معلومات دقيقة وقيمة حول الإيالة الجزائرية في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية، مما سمح للباحثين والدارسين بتوسيع آفاق البحث أكثر من خلال هذا التنوع والاختلاف في الكتابة وحتى في طرح القضايا بوجهات نظر تتحكم فيها العديد من العوامل والمؤثرات [3] .

- كما أن في الكتابات الرحلية مثلاً أهمية تستمدها من غزارة المعلومات التي تحويها والتفاصيل التي عكف الرحالة الغربيون على تدوينها انطلاقاً من احتكاكهم المباشر بالسكان، وهذا ما يجعل نصوص الرحلة مصادر غنية بمختلف الانطباعات والمشاهد التي وثقها هؤلاء الرحالة [4] .

---

[1]- محمود بوكسيبة، المرجع السابق، 2024/05/02 – 11:09 .

[2]- حميد آيت حبوش، أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني نموذجا، "الحوار المتوسطي"، ع2، جامعة وهران، الجزائر، 2010، ص72 .

[3]- آمنة فاطمة زهرة العيايدة ، المرجع السابق ، ص 104 .

[4]- شفيق بوطرافة ، المرجع السابق ، ص 71 .

فنجد أن لكتابات الرحالة أهمية وقيمة علمية وإخبارية، فهي مصدر هام لوصف وسرد التاريخ، فالتفاصيل الموجودة في هذه الكتابات عادة تكون صادقة ودقيقة، كما تلتقط من أرض الواقع مشاهد ووقائع وأخبار متنوعة ومتفرقة أين يكون فيها الرحالة شاهداً على وقوعها وحاضراً فيها [1] .

- اتجهت الكتابات الغربية نحو تغطية أكبر قدر ممكن من الجوانب من تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، خاصة الجانب السياسي، العسكري، الاقتصادي، الاجتماعي... هذا التنوع أضفى عليها صبغة الشمولية في المحتوى، والدقة في عرض تفاصيل الأحداث التاريخية، وذلك بغض النظر عما تحمله من أفكار إيديولوجية أو ما يتوافق ومصالحها الشخصية، وبالمقابل من ذلك نجد المصادر المحلية وإن تطرقت لما ذكرناه آنفا إلا أنها تبقى ناقصة في عرضها لبعض القضايا والأحداث مقارنة بالمصادر الغربية [2] .

- يعتبر حنيفي هلايلي الكتابات الغربية والوثائق الأوروبية السبيل الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ويبقى الأمل معقوداً على استغلالها وإماطة اللثام عن قضايا تستوجب فهمها وتفسيرها، في ضوء الاعتماد الأحادي على النصوص الأجنبية [3] .

- ساهمت الكتابات الغربية بشكل كبير في إعطاء صورة واضحة عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني من خلال التطرق للجانب السياسي والعسكري بإسهاب ورصد مفصل لهما، والتركيز على المجتمع الجزائري وعلاقة السكان فيما بينهم وطباعهم وتقاليدهم... مع الاهتمام بذكر العلاقات الخارجية بين الجزائر والدول الأخرى من خلال رصد حالات السلم والحرب بين الطرفين، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى عقد الاتفاقيات والمعاهدات والتي قام الغربيون بإدراجها في كتبهم، فعملت بذلك على توفيرها للمادة الإخبارية والعلمية مع توسيع آفاق البحث، كما أنها سهلت على الباحثين والمؤرخين مهمة الإنتاج في الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر [4] .

---

[1]- إلياس سبوعي، المرجع السابق، ص 25.
[2]- المرجع نفسه ، ص 107 .
[3]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 101 .
[4]- آمنة فاطمة زهرة العيايدة، المرجع السابق، ص 108 .

- تحتوي كتابات الغربيين شهادات وأوصاف دقيقة وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم الحكام وتحليلات خطيرة وتقارير وتفاصيل في غاية الأهمية، والتي قد لا نجدها في غير هذه الكتب (الكتابات المحلية) [1].

- حسب مولاي بلحميسي، قسم من الكتابات الغربية والوثائق الأجنبية خلال العهد العثماني نتج عن نشاط الدبلوماسيين أو قناصل وتجار الدول الأوروبية التي كانت لها علاقات مع الجزائر، فترتبت عن طبيعة تكوين هذه الوثائق تداخل المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الكثير منها، مما جعل الرجوع إليها أمراً مهماً وذا فائدة، حيث لا يمكن الاستغناء عن أية وثيقة منها [2].

نستنتج أن الكتابات الغربية عن الجزائر في الفترة الحديثة تميزت بعملها على تشويه صورة الجزائر وتاريخها، كما أنها تنادي بوضع مخططات للقضاء على الدولة العثمانية والإسلام بحكم التعصب الديني والإيديولوجيات التي تبناها هؤلاء الغربيين في ظل الصراع المسيحي الإسلامي، مع الأحداث التي عرفتها تلك الحقبة، فقد ورثت كتاباتهم أحكاماً مسبقة عن الجزائريين، ووصفتهم بأبشع الألقاب، كما أنها اعتبرت الجزائر وكراً للقرصنة... رغم هذه المساوئ التي تحملها، إلا أنها تميزت بتنوع مادتها الإخبارية وغنى المعلومات التي تحويها وغزارتها... وهنا تكمن أهميتها البالغة في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، الأمر الذي يحفز الباحثين ويدفع بهم إلى توسيع آفاق البحث التاريخي.

[1]- حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص 59 .
[2]- محمد دبوب، المرجع السابق، ص 452.

المبحث الثالث: نماذج عن الكتابات الغربية

لعبت الكتابات الغربية دوراً هاماً في التعريف بتاريخ الجزائر الحديث، رغم اختلاف مؤلفيها وفترات تدوينها ومضامينها، وسنتعرف في هذا المبحث على نماذج من المصادر والكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر الحديث.

1 – كتاب « **طبوغرافية تاريخ الجزائر العام**» الذي ألفه **فراي دييغو دي هايدو** [1] **Fray Diego De Haedo**

يعتبر الكتاب من الوثائق الهامة والنادرة التي ترتبط بالجزائر، فقد اعتمد «هايدو» Haedo في تأليفه لهذا الكتاب سنة 1581م على شهادات حية لبعض الأسرى، وينقسم الكتاب إلى بابين، باب خصصه لتاريخ حكام الجزائر العثمانيين، وباب لوصف مدينة الجزائر، كما تحدث في كتابه عن حياة الأسرى المسيحيين وعن شهداء العقيدة خاصة المسيحيون الإسبان الذين ماتوا في السجون، كما تحدث عن المرابطين ورجال الزوايا[2].

وللكتاب أهمية كبيرة وهذا لكون صاحب التأليف من الذين عاشوا الأسر في الجزائر، واعتمد في كتابه على شهادات الأسرى ومصادر تاريخية معروفة «وصف إفريقيا» لليون الإفريقي وجغرافية «سترابون» لتحديد المواقع الجغرافية، وخصص 41 فصلاً للحديث عن الحياة الاجتماعية وعادات الجزائريين [3] .

2- كتاب «**تاريخ بربارية و قراصنتها**» من تأليف **الأب بيير دان** [4] **Père Pierre Dan**

الذي سمحت له فرصة رحلته إلى الجزائر سنة 1634م من جمع المادة الأولية لكتابه الذي نشر بباريس سنة 1637م، ثم ظهرت طبعة جديدة للكتاب سنة 1649م بها إضافات كثيرة. ويضم المتن ستة أجزاء تناولت مواضيع: القرصنة في شمال إفريقيا، المدن القرصانية[5]، ثم

---

[1]- فراي دييغو دي هايدو Fray Diego De Haedo هو راهب اسباني تعرض للأسر والاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين عام 1578م بينما كان على سفينة تابعة لقراصنة مالطا. وفي سنة 1581م تم إطلاق سراحه وقام بنشر أعماله تحت عنوان "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام".

[2]- حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص 44.

[3]- حميد آيت حبوش ، المرجع السابق ، ص 73 .

[4]- بيير دان Pierre Dan راهب فرنسي انخرط في سلك رهبان منطقة الثالوث الأقدس و افتداء الأسرى، كانت له رحلة إلى الجزائر سنة 1634م وتمكن من تحرير 42 أسيراً عاد بهم إلى فرنسا ليكون بذلك الراهب المقرب من الملك الفرنسي لويس الثالث عشر وسمحت له هذه الرحلة من تأليف كتابه "تاريخ بربارية و قراصنتها " سنة 1637م .

[5]- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص74.

أساليب القرصنة ونتائجها، معاناة الأسرى المسيحيين وطرق افتدائهم، وفي آخر جزء تناول أدوار منظمة الثالوث الأقدس[1].

للكتاب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ شمال إفريقيا وتاريخ الجزائر الحديث بشكل خاص، بفضل ما يتضمنه من معلومات جديرة بالاهتمام تغطي الفراغ الذي خلفه التراث التاريخي المحلي خلال حقبة تميزت باضطراب الأوضاع، فقد تناول أخباراً عن أوضاع مملكة الجزائر ومدينتها ودورها البحري، وعن أهمية الأعلاج ووضعيتهم وأدوارهم ومعاناة المستعبدين المسيحيين [2].

3 – كتاب «**مذكرات أسير الداي كاثكارت**» الذي ألفه **جيمس ليندر كاثكارت** [3]

نشرت هذه المذكرات بعد وفاة المؤلف من طرف ابنته، ولقد طبع الكتاب بدون أن يحمل اسم الناشر ولا التاريخ الذي نشر فيه، وقد كتب باللغة الإنجليزية التي تبتعد عن المجاز والاستعارة والصور الأدبية... تناول في مذكراته العلاقات الجزائرية الأمريكية وهي المصدر الأساسي والوحيد في هذا المجال في الربع الأخير من القرن الـ18م وذلك لأنه تولى المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها، كما أشار إلى المؤسسات والمنشآت العمومية، ووصفها وصفاً دقيقاً، فيتحدث بصفته شاهد عيان عن المدارس والمساجد والسجون.

كما تطرق في مذكراته إلى الحالة الاجتماعية ومعاناة الجزائريين من الإهمال والإرهاق بالضرائب والظلم والجوع والأمراض، كما أنه وصف نظام السجون في أواخر القرن الثامن عشر، كما خصص فصلاً كاملاً لوصف قصر الداي من الداخل في عهد حسن باشا، ويعتبر وثيقة هامة لا مثيل لها حيث تعرفنا بمختلف أجنحة القصر ومرافقه وشكله وزخاريفه [4] .

وسجل الكثير من الانطباعات التي علقت بذهنه بسبب تعامله مع عدة شخصيات سياسية هامة، كما أنه قام بتسليط الضوء على دور اليهود في قصر الداي[5].

[1]- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 75.
[2]- حمدون بن عتو ، المرجع السابق ، ص 47 .
[3]- ولد جيمس لندر كاثكارت James Leander Cathcart سنة 1767م بإيرلندا، ثم انتقل مع والده إلى أمريكا واشتغل في سفينة ماريا بوسطن التي استولى عليها الجزائريون سنة 1785م. ثم أصبح مديراً لمكتب الداي حسن باشا في الجزائر، ثم عاد إلى أمريكا وعين في مناصب إدارية وتوفي سنة 1843م. نشرت مذكراته بعد وفاته بنصف قرن من طرف ابنته.
[4]- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 77.
[5]- المرجع نفسه، ص 78.

4 – كتاب « **تونس والجزائر في القرن 18م** » من تأليف **فونتور دي بارادي** [1]

هو عبارة عن تقارير عديدة تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الإيالتين تونس والجزائر، ويعتبر الكتاب مصدراً تاريخياً متميزاً من حيث معلوماته والحقائق التي جاء بها، وفريداً من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها.

فقد تضمن أخباراً عن سير الإدارة الجزائرية، وضمنه معلومات الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالإيالة، كما تميز هذا الكتاب بالدقة في تسجيل الأحداث ووصفها، وهي الميزة التي تكاد لا توجد في المؤلفات الغربية الأخرى في تلك الفترة [2] .

فيعتبر هذا الكتاب من أهم ما ألفه «فونتور دي بارادي» Venture De Paradis ، وقد قام بجمعه وتحقيقه الفرنسي «جوزيف كوك» Joseph Coq ونشرها سنة 1983م [3].

5 – كتاب «**مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر**» من تأليف **وليام شالر** [4]

إحدى أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ خاصة للعلاقات الجزائرية الأمريكية خلال الفترة الممتدة ما بين 1816 و1824م، وهذا لكون المؤلف عنصراً فاعلاً فيها، ولم يغفل للتطرق إلى كل ما يتعلق بالجزائر عن عرض تفصيلي للموقع الجغرافي بتضاريسه، مدنه، حدوده، مناخه وحتى إنتاجه الطبيعي، بل تعدى ذلك إلى الحديث عن جميع المجالات السياسية، العسكرية، التعليمية، والاجتماعية بما فيها العادات والتقاليد واللغات السائدة فيه [5] .

.

يحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة فصول وملاحق، وقد نشر في مدينة بوسطن الأمريكية سنة 1826م باللغة الإنجليزية تحت عنوان «مختصر في تاريخ الجزائر» وتحدث عن

[1]- جون ميشال فونتور دي بارادي Jean-Michel Venture De Paradis مستشرق فرنسي من مواليد مارسيليا عام 1739م، تعلم اللغتين التركية والعربية في معهد اللغات الشرقية بباريس، وزاول وظائف عديدة في سفارة فرنسا باسطنبول وفي قنصلياتها خاصة في تونس وفي الجزائر ما بين 1788 و1790 أقام بالجزائر بتفويض من فرنسا لتسوية العلاقات بين البلدين، وترك عدة مؤلفات أشهرها "تونس والجزائر في القرن 18م".

[2]- حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص 50.

[3]- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 79.

[4]- وليام شالر William Shaler قنصل أمريكي في الجزائر خلال سنتي 1816 و1824م. سنحت له فرصة إقامته بالجزائر تأليف مذكراته سنة 1826.

[5]- آمنة فاطمة زهرة العيايدة ، المرجع السابق ، ص 106 .

أوضاع الجزائر بجغرافيتها وتاريخها ونظام الحكم بها، ثم ترجم إلى الفرنسية في سنة 1830م في باريس، وذلك بعد أن تم وضعه تحت يد السلطات الفرنسية.

له أهمية خاصة في السياق السياسي والعسكري لاحتلال الجزائر، فيضم حقائق وشهادات مهمة، كما يحتوي أيضاً آراء ومواقف عدائية للجزائر... لذا يمكن الاستفادة من هذه الوثيقة في تاريخ الجزائر الحديث[1].

6 – كتاب «**رحلة إلى إيالة الجزائر**» للدكتور **توماس شاو** [2] **Thomas Shaw**

هي ملاحظات ومعلومات قيمة عن أقاليم المغرب والمشرق العربي، نشرت لأول مرة بعنوان «رحلات أو ملاحظات تتعلق بأجزاء من شمال إفريقيا والمشرق»، حيث صدرت طبعتها الإنجليزية بأكسفورد سنة 1738م، وظهرت ترجمتها الأولى إلى الفرنسية سنة 1743م، قبل أن يختصرها «ماك كارتي» Mac Carthy سنة 1830م [3].

نشر العالم والرحالة «توماس شاو» Thomas Shaw كتابه في جزأين تضمنا أوصافاً دقيقةً وتفاصيل عن بلاد الجزائر وخاصة عن ريفها ومنتجاتها وآدابها العربية، كما رسم خريطة وضح عليها معالم جغرافية، وحدد بها حدود إيالة الجزائر وخاصة حدود بايلك الشرق الجزائري[4] .

واختص بذكر التضاريس والتربة والمناخ، إضافة إلى ذلك قام بوصف الحياة الاجتماعية من تقاليد وعادات وأخلاق المجتمع الجزائري آنذاك، مثلما تضمن أيضاً معلومات عن الحياة السياسية والعسكرية والإدارية بداية من حكومة الداي وضباطها إلى حديثه عن قوة الجزائر وصولاً إلى وصف مدنها ومقاطعاتها كمعسكر والجزائر وقسنطينة وتلمسان ... [5]

وفي خلاصة القول، نقول أن على الرغم من الأهمية التي تكتسبها الكتابات الغربية، غير أنه من الأجدر أن نوضح ونشير إلى الاختلاف الإثني، الديني، اللغوي والإيديولوجي بين مؤلفيها وبين الجزائر ومجتمعها، وهذا ما ينعكس في أسلوب المؤلف أثناء تناوله

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 18.

[2]- ولد توماس شاو Thomas Shaw بإنجلترا حوالي سنة 1692م. مكث بالجزائر 12 سنة من 1720 إلى 1732 وتولى مهمة كاهن للوكالة الإنجليزية وتجول في مختلف الولايات العثمانية وجمع عدة معلومات وملاحظات قيمة عن أقاليم المغرب والمشرق ونشرها بعنوان "رحلات أو ملاحظات تتعلق بأجزاء من شمال إفريقيا والمشرق" صدرت سنة 1738.

[3]- آمنة فاطمة الزهرة العيايدة، المرجع السابق، ص 106.

[4]- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 10 .

[5]- آمنة فاطمة زهرة العيايدة ، المرجع السابق ، ص 106 .

لمختلف المواضيع والأحداث المتعلقة بالفترة، مما سيحدد بطريقة أو بأخرى مدى صدق وموضوعية هذه الكتابات فيما أوردته من معطيات تاريخية.

الفصل الثانـي

فئات المجتمع الجزائري ونشاطاتها خلال العهد العثماني

تمهيد:

صنف الغربيون سكان الجزائر في العهد العثماني إلى عدة مجموعات معتمدين في ذلك على عنصر العرق أو الدين، فمنهم من قسمهم إلى عدة مجموعات منها : الأتراك، الكراغلة، العرب، البربر، الأندلسيون، اليهود... ومنهم من حاول تقسيم هذه المجموعات إلى مجموعات فرعية، ولا شك أن التركيبة الاجتماعية للإيالة تعكس التنوع العرقي من حيث الأصول والخلفيات لمجموع الساكنين بها، وقد أدى حضور العثمانيين الأتراك إلى تزويدها بلحمة هامة للاِمتزاج الحضاري الموجود من قبل، واصطحب تواجد مختلف هذه الشرائح والفئات البشرية في الجزائر النشاطات المتعددة التي كانوا يمارسونها.

المبحث الأول: التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

عرف المجتمع الجزائري خلال العصر الحديث تنوعاً حضارياً نتيجة حضور فئات ومجموعات بشرية متنوعة سكنت مختلف أرجاء الإيالة، رغم اختلافاتها في الأصول العرقية (عرب، بربر، أتراك...) وفي الديانات (المسلمون، اليهود والنصارى).

أولاً - المسلمون:

1 - الأهالي:

إن سكان الجزائر من البربر أو من الحضر كانوا في أول الأمر من الأهالي، ونعني بهم السكان الذين كانوا فيها عندما وصلها الأتراك، ثم انضم إليها مهاجرو الأندلس، وأخيراً أهل الريف وخصوصاً أهل زواوة، وغيرهم ممن تسربوا إليها من المناطق الداخلية [1] .

ذكرت العديد من المصادر والكتابات الغربية تسمية «**المور**» Maures التي أطلقت على الأهالي، وهي في الأصل تسمية رومانية تطلق قديماً على سكان موريتانيا وشمال إفريقيا ثم على جميع المسلمين العرب الفارين من الأندلس بعد سقوطها، ثم أصبحت تطلق على فئة أهالي الجزائر والمغرب، ويسكنون غالباً المدن والسواحل خاصة، وهم مسلمون [2].

يذكر الضابط الفرنسي «فانسن إيف بوتان» Vincent Yves Boutin[3] في كتابه « Aperçu historique sur l'état d'Alger » أن تعداد الأهالي (المور) في الإيالة يقدر بحوالي مليون ومائتي نسمة، وفي مدينة الجزائر عددهم 45 ألف في مطلع القرن 19م [4]. ويخبرنا السيد دابر Dapper بأنه كان في مدينة الجزائر 25 ألف عائلة من الأهالي فإذا قدرنا أربعة أشخاص على الأقل لكل عائلة فإننا نلاحظ أن الرقم المذكور قد يكون مبالغاً فيه، ومع ذلك فإن العائلات الأهلية كانت تمثل أغلبية السكان، وكان الأتراك ينظرون إليهم نظرة احتقار خفيف، ذلك أنهم لم يكونوا أقوياء ولا يصلحون للجندية[5].

---

[1]- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 165.

[2]- Docteur BONNAFONT , Douze ans en Algérie 1830 à 1842 par le Docteur BONNAFONT médecin principal des armées en retraite, Imprimerie JULES MOUREAU, Paris, 1880, p 134.

[3]- فانسان إيف بوتان Vincent Yves Boutin هو ضابط وقائد عسكري فرنسي خلال عهد الإمبراطورية الأولى. ولد سنة 1772 بمدينة نانت بفرنسا. قاد عدة عمليات سرية كحملته التجسسية على الجزائر التي خطط من خلالها لغزوها عام 1830.

[4]-Vincent Yves BOUTIN, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, Deuxième édition, Typographie de J. PINARD, Imprimeur du Roi, Paris, 1830, p 121.

[5]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 165 .

ينقسم الأهالي إلى قسمين: أهالي المدن وأهالي الأرياف، فأهالي المدن وهم السكان الأوائل للمدينة، وقد فرض عليهم الأتراك وضعية التبعية المطلقة، فليس لأحد منهم الحق في حمل السلاح كما أن أملاكهم معرضة للمصادرة لأقل خطأ يصدر منهم في حق الأتراك، وهم في مجموعهم يشتغلون كعمال وتجار.

أما أهالي الريف المستقرون لمزاولة الزراعة أو البدو الذين يعيشون في الريف بعيداً عن المدينة فيتمتعون بحرية كبيرة[1]، فهم عبارة عن عائلات فقيرة لا تملك بنايات.. وتشكل هذه العائلات قبائل والتي بدورها تشكل قرى تدعى الدوار ويرأسها شيخ. يشتغل أهالي الريف في المزارع والحقول وينتجون منتوجاتهم الخاصة، كما أنهم يقومون بدفع الكراء ومختلف الضرائب للداي، ويعيشون حياة بسيطة في أكواخ أو منازل قديمة..[2] ومن الأهالي نجد فئة :

أ – **الحضر**: الذين يشكلون أغلبية سكان المدن في الجزائر، إذ هم عبارة عن خليط من السكان الإفريقيين الأصليين والعرب والمهاجرين من الأندلس، وهم يتغيرون ويتطورون باختلاطهم بالأتراك والإفريقيين الذين يسكنون في الداخل بالمصاهرة والزواج، وهذا العنصر يفقد خصائصه البدائية بإقامته في المدن بعض الوقت حيث تتغير عاداته بالاختلاط مع الغير[3] .

وترى «كورين شوفالييه» Corinne Chevallier[4] أن تجمعات المدينة السكانية النشيطة والتي تعمل بالتجارة تتكون قبل كل شيء من البلدي وتعني الحضر وهم خليط محتمل من قبيلة الماكيل الموجودة في سهل متيجة ومن المغاربة من سلالة بني مزغنة القاطنين على الجزر التي بنى عليها بولوغين المدينة، واستشهدت بكلام « دي غرامون» De Grammont بأنهم أناس ذو أخلاق طيبة، كما أنهم يعملون بالتجارة ويمارسون القرصنة كلما سمحت لهم الفرصة، ويزرعون حدائقهم في سهل متيجة، ويبيعون للبحارة الأجانب الزبدة، الجلد، العسل والشمع[5].

---

[1]- ج أو هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 32 .

[2]- Vincent Yves BOUTIN , op cit , p 131 .

[3]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 107 .

[4]- كورين شوفالييه Corinne Chevallier هي كاتبة ومؤرخة فرنسية من مواليد سنة 1935م. هي إبنة آخر رؤساء بلدية الجزائر العاصمة خلال الفترة الاستعمارية. حصلت على الجنسية الجزائرية بعد استقلال الجزائر، وكتبت عن تاريخ الجزائر كتاب "الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541)"، وكتاب « Prisonnier de Barberousse »

[5]- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 16.

وكل المؤلفين يذكرون لنا أن سكان مدينة الجزائر كانوا يتألفون من البلدية وهم سكان الجزائر الأصليون من الحضر[1]، كانت مدينة الجزائر تضم مائة ألف من الأحرار (الحضر) كما لدينا رقم يقول بوجود ما بين عشرين ألفا وثمانية وعشرين ألف دار من الأحرار، وهم سكان المدينة الأصليون الذين كانوا معفون من الضرائب بقرار من خير الدين[2] .

وحسب «هايدو» Haedo، هم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة، ويكتسبون أسلوب حياتها. ويسمون كذلك «البلديين» وهم أهالي ولدوا بالمدينة واستقرت عائلاتهم بها منذ القديم. كانوا يشغلون في مدينة الجزائر حوالي 2500 بيت في أواخر القرن السادس عشر، أغلبهم يزاولون التجارة ويملكون حوانيت، كما يشتغل بعضهم بالصناعة ويملك البعض الآخر البساتين التي يعيشون من منتوجاتها، وهم أحسن وضعية من غيرهم من الأهالي. [3]

ب - **البرانية:** وهم الناس الذين قدموا من الريف، وهؤلاء هم أولاً من البدو الذين جاؤوا من الجنوب (العرب أو العربس) كما تسميهم النصوص الاسبانية، إنهم يأتون للعمل في مدينة الجزائر ولكنهم لا يحضرون معهم عائلاتهم، وبشكل عام فإنهم يعيشون في الضواحي الشعبية أمام باب عزون[4] ، و من هذه المجموعات نجد :

- **بنو ميزاب** أو الميزابيون وهم المنحدرون من لاجئي الإباضيين الخوارج، الذين كانوا قد أسسوا عصبة مدن دينية مذهبية في عمق الصحراء. إن الصلابة الحنبلية لدى المزابيين قد وجدت الصدى المتجاوب في الأصالة الدينية التركية، فحظيوا بالاحترام وسمح لهم بالمحافظة على أمين في مدينة الجزائر واعترف لهم بمذهبهم الإباضي كعلامة شرعية لملتهم، واحتكروا أعمال الحمام وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين[5]، ويذكر «دي بارادي» بارادي» عملهم في المطاحن والمخابز، ويشكلون شريحة اجتماعية خاصة تمثل أصولهم وأمتهم [6] .

[1]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 156 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 157 .
[3]- صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م) ، دار هومه ، الجزائر ، 2012 ، ص 358 .
[4]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 19 .
[5]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 100 .
[6]- Venture de Paradis, Alger au XVIII[e] siècle, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898, p 14.

- **البسكريون** الذين يقطنون المناطق الجنوبية التي تقع على أطراف الصحراء، وراء المنطقة التي تسمى الشط من المملكة، وهم شعب جدي، ويختلف كثيراً في مظهره وفي سلوكه عن غيره من القبائل العربية والإفريقية، ويخضعون لسلطان الجزائر ويعتبرون من أهدأ العناصر في المملكة، وهم قوم مسالمون ومخلصون وكثيراً ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بالثقة، ويحتكرون صناعة الخبز[1]، وهم الذين يحملون الخبز في الجزائر وهم وحدهم الذين تستخدمهم الحكومة في إنجاز الأشغال العمومية، والبسكريون أيضاً هم الذين يعملون وسطاء في التجارة بين مدينة الجزائر وغدامس[2]، والبسكريون هم حراس الأبراج والممرات والأحياء[3] .

- **القبائل** والذين يمكن اعتبارهم السكان الأوائل للبلاد، وهم لا يتحدثون اللغة العربية، يقطنون المناطق الجبلية ويوزعون في عدة قبائل يرأس كل منها شيخ قبيلة، يعرفون بعدم اتحادهم والتفافهم بالعناصر الأخرى. يسكنون بيوت بسيطة مصنوعة بالطين أو القطران، وسقف منازلهم يكون عادة من القصب[4]، والقبائل شعب أبيض لهم قامة معتدلة، وعضلات قوية، بعيدون عن السمنة، ومثلهم مثل غيرهم من سكان الجبال، هم قوم نشيطون يتسمون بالحيوية والأدب في المعاملة وذو مزاج رائق، والكثيرون منهم بيض البشرة ولهم شعر أشقر ويشبهون الفلاحين من سكان شمال أوروبا، أكثر مما يشبهون سكان بقية مناطق إفريقية [5]. كما ذكر Bonnafont[6] أنهم يعيشون في المناطق الوعرة وقد غيروا من عاداتهم، فهم يعملون في الحقول ويمارسون عدة أنواع من الصناعات... ذوي روح العمل والايجابية، بسطاء وماهرون في ممارسة الصناعات اليدوية، ويتسمون بالصراحة والصدق.. كما أنهم في نفس الوقت أصحاب شخصية قوية وصرامة وحدة وطبع عنيف يظهر في مواقفهم[7]. فهذه فهذه الفئة كانت تشكل ثلث السكان في مدينة الجزائر كما ذكر «هايدو» Haedo، ولم تكن

[1]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 109 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 110 .
[3]- Venture DE PARADIS, op.cit, p 14.
[4]- Vincent Yves BOUTIN , op.cit, p 130.
[5]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 113 .
[6]- جان بيير بونافون طبيب فرنسي من مواليد سنة 1805م بباريس. عضو أكاديمية الطب والمتخصص في طب الأذن. قدم إلى الجزائر سنة 1830م كطبيب لدى الجيش الفرنسي إلى غاية 1842م، وكتب مذكراته بعنوان "12 سنة بالجزائر".
[7]- Docteur BONNAFONT , op.cit, p 137.

هذه الفئة خاضعة للضرائب التي فرضها الحكم العثماني بالجزائر، وكان زعماء مملكة كوكو وغيرها يقومون بدفع رسوم معينة للسلطة وبالمقابل يحصلون على ألبسة وأسلحة ثمينة [1].

وهو تماماً ما ذكره «تولو» Le Sieur Tollot[2] بأنهم غير خاضعين للحكام العثمانيين، ولا يدفعون إلا قسطاً من الرسوم وهذا في حالة إنقاذهم أثناء وقوع الحروب [3].

ومن أشهر القبائل التي ذكرتها الكتابات الغربية قبيلة إفليسن أو فليسة التي تنحدر من بني زعموم والتي تحتوي على 14 عرشاً أو مجموعة مستقلة عن بعضها البعض، في كتاب الضابط «لويس ران» Louis RINN [4] « Histoire d'Alger sous le dernier Dey »[5]

[5]Dey »

- **الجيجليون** وهم الذين استقبلوا الأتراك الأوائل في بلادهم، وأثبتت الحقائق التاريخية أن الجيجليين كانوا يتمتعون بنفس الامتيازات كبقية العناصر التركية باستثناء دفع الضريبة، يحملون الأسلحة وبإمكانهم ارتداء ملابس مطرزة بالذهب، ما لم يتمتع به بقية الأهالي، كما يمكنهم القتال مع الأتراك، لهم امتياز خاص وهو أن الداي هو الوحيد الذي بإمكانه محاكمتهم ومعاقبتهم، والجيجليون يشتغلون في أفران في البايلك من أجل تحضير الخبز لليولداش والأسرى، كما كانت تربطهم علاقة جيدة بالأتراك منذ استعانة «خير الدين» بهم لقمع تمرد ابن القاضي، فنالوا مكانة لدى الحكام وامتلكوا المخابز والمنازل وتمكنوا من الحصول وجمع ثروات طائلة [6].

- **الأغواطيون** وكغيرهم من مجموعات البرانية حسب «هايدو» Haedo هم أناس غادروا الأرياف بحثاً عن العمل في المدن، وهم معروفون باسم القبيلة أو الجهة التي جاؤوا

---

[1]- Henri Delmas DE GRAMMONT, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ed. Ernest LEROUX, Paris, 1887, p p 49 - 50.

[2]- جان باتيست تولو المعروف بـ Le Sieur Tollot رحالة وكاتب فرنسي من مواليد سنة 1698م بفرنسا. قام برحلة إلى الجزائر سنة 1731م وأقام بها واحتك بسكانها وتعرف على تاريخها، ثم ألف كتاباً بعنوان « Nouveau voyage fait au Levant ès-années 1731 et 1732 » تضمن وصفاً للإيالة وأقطار شمال إفريقيا. توفي سنة 1773م.

[3]- Le Sieur TOLLOT, Un Voyage de Paris à Alger en 1731 par Le Sieur Tollot, « Revue Africaine », 11[é] année, n°66, Ed .M. Louis Piesse, Paris, Novembre 1867, p 431.

[4]- لويس ران Louis RINN هو رجل قضاء، ضابط، نقيب ومؤرخ فرنسي ولد سنة 1838م بباريس. تدرب في مدرسة Saint-Cyrالفرنسية. تم تعيينه في المكاتب العربية بالجزائر سنة 1864م، كما كان مستشاراً حكومياً، وعضواً مشاركاً في "كشاف الجمعية لجغرافية الجزائر وشمال إفريقيا"، ومؤلف لدراسات هامة وعديدة عن تاريخ الجزائر.

[5]- Louis RINN, Histoire d'Alger sous le dernier Dey, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1900, p 32.

[6]- Venture de Paradis, op.cit, p 14.

منها، فهم ينتسبون إلى منطقة الأغواط، وأغلبهم يتولى أعمال بسيطة ومتواضعة مثل أعمال الكيل والوزن بأسواق الجزائر، وبيع الزيت، كما يشتغلون أيضاً بالتنظيف ونقل السلع والبضائع وغيرها [1].

ومن العناصر الأساسية التي ركز عليها الغربيون في كتاباتهم التاريخية عن الجزائر خلال العهد العثماني «**البربر**» و«**العرب**». وهما عنصران أساسيان في التركيبة البشرية التي يتكون منها الأهالي أو السكان المحليون لإيالة الجزائر.

ج – **البربر:** والتسمية تطلق على مختلف الشرائح السكانية في بربارية كما يسميها الدكتور الفرنسي Bonnafont أي المنطقة الشمالية لقارة إفريقيا، وهم شعب يتسمون بالوجه المستدير، وجبهة كبيرة، وعيون ذو لون قاتم، وشعر أسود وقوي، وبشرة بيضاء، لا يشبهون البدو وبقية الأهالي، لهم عادات مختلفة، يعيشون بعيداً عن المدن في أكواخ، ويشتغلون بالفلاحة والتجارة، لغتهم لا زالت تتداول بين مناطق الأطلس وجزر الكناري وجربة وحدود مصر وبالواحات وصولاً إلى جنوب الصحراء الكبرى، وينقسمون إلى عدة فئات هي : الأمازيغ أو الشلح (الأحرار)، القبائل في الجبال، والطوارق في الصحراء..[2]

ويضيف الأب «دان» Pierre Dan في كتابه « Histoire de Barbarie et de ses corsaires » أن البربر هم أفارقة نوميديا وكذلك قرطاج، كما يطلق هذا الاسم على سكان موريتانيا القيصرية والطنجية، وهم يتميزون عن سكان مدن الجزائر وعن العرب، وهذا نظراً للهجتهم الخاصة وطريقتهم في الحديث ونطقهم الشديد لبعض الحروف ما جعل العرب يسمونهم البربر نظراً للضجة والفوضى التي يتسمون بها [3] .

فالبربر يسكنون الجبال دائماً ويفضلون قممها، حيث يقطنون في قرى يسمونها «دشرة» تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوتل، وغالباً ما ينزلون إلى السهل، وحكومتهم عبارة عن مزيج من الديمقراطية والأرستقراطية لا تتمتع بالسلطة كي تفرض قانونها على السكان[4]. فيمكن إعادتهم إلى الأصل الذي ينحدرون منه، وهم يختلفون كثيراً في المظهر الشخصي،

[6]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 359 .

[2]- Docteur BONNAFONT, op.cit, p 13 .

[3]- Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsaires, des royaumes, des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, et de Tripoly, Deuxième édition, Ed. Pierre Rocolet, Paris, 1649, p 3.

[3]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 114 .

وفي السلوك والشخصية عن جميع شعوب هذا البلد (الجزائر) ممن يدعون الانتماء إلى العنصر العربي، وهم يتحدثون لهجة خاصة بحيث يجب البحث عن أصلهم في الشعب الذي يسكن هذه البلاد قبل الفتح العربي[1]، ومع تزايد عددهم قسموا أنفسهم إلى خمس قبائل، وتسمى هذه القبائل: صنهاجة، زناته، هوارة، كتامة، ومصمودة، ونتج عن هذه القبائل 600 عائلة قسمت نفسها ثانية على عدد أكبر من القبائل الصغيرة [2] .

د – **العرب:** حسب Vincent Yves Boutin العرب القاطنين بالجزائر العثمانية هم نفسهم الذين تنحدر أصولهم من العرب المسلمين الفاتحين لشمال إفريقيا، عرفوا تهميشاً من الحكام العثمانيين في تولي حكم إيالة الجزائر، توزعوا عبر الجبال والصحاري بقطعانهم من المواشي، وظلوا مستقلين، تتم المصاهرة فيما بينهم فقط، ويعتبرون أنفسهم أشرف شعب في إفريقيا. فالعرب الساكنون بالمدن لا يريدون فقدان امتيازاتهم، أو الخضوع للحكام العثمانيين أو الاتحاد مع غيرهم من الأجناس . [3]

وكان الأب «دان» Pierre Dan من أوائل الأوروبيين الذين تعرفوا على الفرق من العرب، ويسميهم «الرحالة الدائمين» الذين كانوا يعيشون في الخيام وينتقلون من مكان إلى آخر، وكانت عاداتهم ولغتهم وملامحهم مختلفة اختلافاً كبيراً، ويبدو أن «دان» Dan قد زار فعلاً عدداً من الدواوير الأعرابية، كما يبدو أنه أعجب بافتقار الأعراب إلى الطموح الذي جعلهم يعزفون عن الحياة[4]، وهم يتحدثون اللغة العربية ويعتنقون الإسلام، وملامحهم وأخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم هي نفس ملامح العرب الآسيويين، أما سلوكهم وعاداتهم هو نفس سلوك وعادات أولئك العرب الذين وصفهم عدد من الرحالة الأوروبيين المشهورين [5] .

[4]- المصدر نفسه، ص 118.

[1]- جيمس ويلسون ستيفنز، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1796/1785م، ترجمة: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 152.

[3]- Vincent Yves Boutin, op.cit, p 132.

[3]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 174 .

[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ص 108 .

وكانت قرى العرب (أو دواوير، مفردها: دوار) تتكون من عدة أكواخ أو خيم مصنوعة من جلد الجمل، موزعة على شكل دائري، تحيط بها قطع من الحلفاء تقيها من الأخطار الخارجية، وكانت قطعانهم مركزة داخل الدائرة، وتحرسها كلاب تسهر على أمنهم [1].

ويضيف «وليام شالر»: «...ومتى وجد العرب أن استبداد الباي وطغيانه لا يطاق، يجلون إلى منطقة أخرى أو إلى الصحراء، حيث لا تصل إليهم يد السلطة، وبهذه الطريقة خلت من سكانها كلية تقريباً سهول عنابة بسبب نزوح القبائل العربية عنها نتيجة لما تعرضوا له من الاستبداد الذي لم يكونوا يطيقونه، وفي الحالة الأخيرة التجأ العرب إلى مملكة تونس، والمساعدون في سلاح الخيالة من الجيش التركي في قسنطينة، هم من العرب» [2].

يقول «دي غرامون»[3] De Grammont: «كانت السلطة تسعى لاستخلاص الضرائب من العرب عن طريق المحلات، وذلك لإخضاع الشيوخ للدفع عن قبيلتهم إما نقداً أو طعاماً» [4].

2 – الأندلسيون:

إلى جانب المور والعرب الذين تواجدوا بإيالة الجزائر، وجدت كذلك شريحة اجتماعية أخرى من أمة مختلفة وهي العنصر الأندلسي أو ما يعرف بالموريسكيين الذين فروا قبل سنوات قليلة من الوجود العثماني بالجزائر من اسبانيا (الأندلس) إلى السواحل المغاربية، وهم الذين وفدوا من مملكة غرناطة وأراغون ومن كاتالونيا... [5] .

تقول «كورين شوفالييه» عن الأندلسيين: «...وجاء اللاجئون الاسبان فيما بعد حيث أطلق عليهم المؤلفون الأوروبيون اسم الموريسك أي المغاربة ليفرقوا بينهم وبين السكان المغاربة الأصليين والذين هم بالنسبة لهم كل سكان المدينة غير الأتراك». وينقسمون إلى فئتين :

أ- الثغريون : جاؤوا من مملكة الأراغون في فلنسيا وكاتالونيا.

---

[1]- Charles DE ROTALIER, Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle, Tome 2, PAULIN, Paris, 1841, p 98.

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 109 .

[3]- هنري دلماس دي غرامون عسكري وموظف المالية ومؤرخ فرنسي من مواليد سنة 1830م. شارك برصيده العلمي في "المجلة التاريخية" ويعد مؤسس المجلة الإفريقية. عاش بالجزائر وألف كتاب "الجزائر تحت السيطرة التركية" في 1887.

[4]- Henri Delmas DE GRAMMONT, op.cit, p 49.

[5]- Pierre Dan, op.cit, p 82.

ب- المودجار (Mudegarre): وهم آخر من وصلوا من غرناطة والأندلس، وحافظوا على لغتهم حيث يتكلمون الاسبانية فيما بينهم وجلبوا معهم تقاليدهم الفنية والحرفية [1] .

والواقع أن المهاجرين من الأندلس، سواء كانوا ثغريين أو مودجار، كانوا أناساً أشداء، ورغم أن هؤلاء المهاجرين كانوا قلة في الجزائر فإنهم مع ذلك كانوا أغنياء جدا في أغلبهم، وذلك ببيعهم الأرقاء المسيحيين إلى عائلاتهم في أوروبا واستثمار النقود في سفن قرصنة جديدة لأسر أرقاء آخرين، إن العائلات المهاجرة من الأندلس لفتت إليها أنظار الرحالة والكتاب أكثر، فنحن نعلم من كتابات هؤلاء أن أولئك المهاجرين كانوا يخرجون إلى البحر في أساطيل قرصانية ويغيرون على بلاد أجدادهم القديمة، ونالوا شهرة بدفاعهم القوي ضد محاولات الإنزال الاسبانية، فخلافا لعادة الأهالي، فإنهم حاربوا بشدة وصمدوا حتى أرجعوا المغيرين بعد خسائر فادحة بين الطرفين [2] .

كما وصفهم «لوجي دي تاسي» بأنهم المسلمون الذين تم طردهم من مماليك اسبانيا، وأكثرهم سكنوا المدن الجزائرية أين وجدوا الجو الملائم لممارسة صناعاتهم، كما زرعوا مختلف الأشجار والبساتين وحصلوا على أراضي نظير أعمالهم، ثم تفرغوا لتجارة الأسرى، يتحدثون اللغة العربية رغم أنها تختلف نوعا ما في النطق، ودينهم هو الإسلام [3] .

يذكر الاسباني «هايدو» Haedo، أن الأندلسيين هم أولئك الذين جاؤوا من ممالك أراغونة، بلنسية، قطلونيا وغرناطة، كانوا يأتون خلال القرن السادس عشر عن طريق مارسيليا وموانئ فرنسية قديمة، يزاول الأندلسيون في مدينة الجزائر حرفاً عديدةً ويملكون حوالي ألف بيت في المدينة [4] .

لهم مميزات خاصة وهي أنهم يكرهون المسيحيين ولن يصفحوا عنهم أبداً لأنهم أضاعوا بلادهم، وعندما توفرت لديهم الإمكانيات جهزوا سُفناً صغيرةً بالسلاح كي يبعثوها للقرصنة

[5]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 16 .
[1]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 166 .
[3] - Laugier DE TASSY, Histoire du royaume d'Alger, Ed. Henri DU SAUZET, Amsterdam (Pays-Bas), 1724, p 62.
[3]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 359 .

حتى تحل محل سفنهم التي ما زالت موجودة في اسبانيا، ويقومون بإلقاء القبض على سفن وعبيد مسيحيين كلما سمحت لهم الفرصة رغبةً في الانتقام [1] .

أكد «هايدو» Haedo أن الهجرات الأندلسية تواصلت بعد القرن السادس عشر وأن استقرار المهاجرين لم يقتصر على مدينة الجزائر، بل شغل كل دار السلطان في شرشال، البليدة والقليعة، كما استقر هؤلاء في المدن الساحلية مثل بجاية ومدن الداخل مثل تلمسان. أدخل الأندلسيون مزروعات جديدة وصناعات جديدة إلى الجزائر وبفضلهم ازدهرت شرشال والقليعة والبليدة، كما انتشرت الموسيقى الأندلسية [2].

وكثير من الكتاب الغربيين يذكرون بأن اللاجئين من الأندلس قد أغنوا الجزائر كثيراً بمهاراتهم، بينما يخبرنا آخرون بأن الموريسكيين لم يستقبلوا استقبالاً حسناً في إيالة الجزائر، على عكس ما حدث لهم في تونس حيث كان الاقتصاد أكثر ملاءمة لقدراتهم وحيث الحكومة أكثر استعداداً لاستقبالهم[3] .

ويقول Devoulx[4] عن دورهم في الجانب السياسي أنه كان ضئيلاً، وذلك راجع إلى صرامة الحكام العثمانيين وانفرادهم بالحكم. ومن هنا يمكن اعتبار الجزائر من أهم الأقطار التي احتضنت الجالية الأندلسية بأعداد كبيرة، ولهذا كان تأثيرهم واضحاً في كل المجالات[5] .

3 – العثمانيون:

لا شك أن العثمانيون من الفئات الهامة في المجتمع الجزائري خلال الفترة الحديثة، بدأ توافدهم إلى الجزائر في عهد السلطان سليم الأول[6] من أول عملية إمداد للجند إلى الجزائر فاستقر الكثير منهم بها واستمر توافدهم إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبدورهم ينقسمون إلى ثلاث فئات :

---

[4]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 17 .
[5]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 359 .
[1]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 151 .
[4]- ألبير ديفولكس من مواليد مرسيليا سنة 1826م. يعتبر أول أرشيفي إهتم بالوثائق التاريخية للجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. عاش بالجزائر واهتم بتراثها التاريخي، صاحب دراسات ومؤلفات تتعلق بالإيالة وعمرانها.
[3]- عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015/2014، ص 113 .
[4]- سليم الأول هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية (1512-1520) وخليفة المسلمين. عرف بتوسعاته في بلاد المشرق، كما أنه قام بضم الجزائر سلمياً سنة 1519م بطلب من أهلها، وعين خير الدين بايلرباياً عليها .

أ – **الأتراك:** الأتراك شعب متميز عن غيره من الشعوب، تواجدوا بإفريقيا ومع مرور الزمن اختلطوا بالسكان المحليين، وكانوا يحافظون بدقة على الشريعة الإسلامية ولكنهم يتحدثون اللغة التركية والتي تستعمل في الإدارة الحكومية [1]، يقول عنهم «هابنسترايت» Habenstreit : «إن الحكومة بيد الأتراك الخلص أي الذين ينحدرون من آباء وأمهات أتراك وهم في الغالب يستقدمون من المشرق أو قد يأتي بهم القراصنة بالقوة إلى الجزائر، والأتراك ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة أو الخارجين عن القانون، ونفس النظرة تحملها النساء التركيات عن الجزائريات» [2].

يصفهم «دي غرامون» بأنهم أغنياء الجزائر وأشخاص لا تعني لهم الأموال شيئاً، محبين من طرف الجميع، كما لهم أعداء يبغضونهم، أذكياء، ومعتادون على مواجهة الأخطار. كانت مساكنهم بالقرب من البحر، أو من الجهة الغربية للمدينة، كما أنهم يتمتعون بحصانة في أحيائهم، وأغلبهم يملكون أسلحة والتي بفضلها يشعرون بالأمن مع مساعدات المليشيات[3].

يذكر Vincent Yves Boutin أن عدد الأتراك في إيالة الجزائر خلال بداية القرن 19م حسب جريدة العلوم العسكرية يقدر بحوالي 20 ألف تركي. وفي مدينة الجزائر قدر عددهم بحوالي 8.000 تركي. وأعداد السكان هذه التي قدمتها الجريدة يرى بوتان أنها أعداد كبيرة مقارنة بعدد السكان في المدن الكبرى [4] .

ويضيف أن الأتراك هم الأسياد الحكام للبلاد، وهم الممثلون للمؤسسة العسكرية للجزائر، وكانت تمنح لهم الامتيازات ويتدرجون في المراتب والمناصب العليا، وعندما يصل أحدهم إلى أعلى رتبة في الجيش (العقيد)، فإنه يصبح لديه الحق في الانضمام إلى أعضاء الديوان. كانوا يستقدمون من القسطنطينية والأقاليم العثمانية، وعند وصولهم إلى الجزائر تطلق عليهم تسمية الإنكشاريين[5]. ويقول عنهم الأمريكي James Wilson Stevens أنهم الوحيدون الذين لهم امتياز حمل الأسلحة النارية، فجيش الداي يتكون أساساً من الجنود الأتراك ومع أن عددهم قليل، فهم يستبدون ويحتقرون الأهالي على امتداد كامل البلاد، وقليل منهم أناس

[5]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 107 .
[6]- ج أو هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 29 .

[1]- Henri Delmas DE GRAMMONT , op.cit, p 127.
[4]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, pp 120 – 121.
[5]- Ibid, p 198.

طيبون[1]. وكل الأتراك أو أبناءهم هم أحرار، ولا يمكن أن يستعبدوا من طرف الغير. يتوجهون إلى مناصب إدارية في البايلك أو الديوان، إدارة السجون، الوظائف العمومية... [2]

وحسب ما أورده «هايدو» Haedo في كتابه، وجدت بالجزائر فئة أخرى جاءت من الضفة الأوروبية (رودس، إيجا، ألبانيا، كريت) عرفت بالنشاط والحيوية، وتتسم هذه المجموعة بالبشرة البيضاء، أما الوافدون من الأناضول فقد تميزوا ببشرة سمراء وطباع حاد، فكان الحكام العثمانيون يقومون بتجنيدهم بواسطة وكلاء لهم في الموانئ [3] .

ب – **الأعلاج:** تعرض إليهم «هايدو» Haedo وقام بتعريفهم على أنهم أتراك العقيدة، وهم المسيحيون المرتدون عن دينهم واعتنقوا الإسلام، فيعرفون بِاسم «الأعلاج»، وهم أكثر عدداً من الأتراك الأصليين، ومن أسباب تخليهم عن دينهم واعتناقهم الإسلام هو الإرادة في التخلص من العبودية، فهم من الأسرى الذين استولى عليهم رياس البحر، وكان الأتراك يشجعونهم على الانضمام إلى طائفتهم، وبمجرد تحررهم ودخولهم في الإسلام تنشأ علاقة وطيدة بينهم و بين أسيادهم [4] .

وقال عن هذه الفئة «بوتان» Boutin بأن لها نفس الامتيازات والاعتبار تماماً مثل الأتراك، وذلك منذ اعتناقهم الإسلام. وحالهم مثل حال الأتراك، فإذا تزوج الأعلاج من النساء الجزائريات، فإنهم يحرمون من تلك الامتيازات ويتم إقصائهم من مناصب السلطة [5].

يذكر «جون وولف» John Wolf بأن كثير منهم جاؤوا بمهارات إلى الإيالة وهي المهارات التي كانت غير موجودة في المشرق، ففي أوائل القرن السابع عشر كان الأعلاج هم الذين علموا الجزائريين صنع السفن الطويلة والإبحار بها والمغامرة بها حتى في المحيط الأطلسي. يضيف أن هناك منهم من كانوا أرقاء وتخلوا عن عقيدتهم وانضموا إلى الفرقة الانكشارية، والنوع الآخر من الأعلاج يمثل الأوروبيون المتسكعون الذين حضروا بأنفسهم إلى مدينة الجزائر وتخلوا عن دينهم لأسباب واضحة وهي الأمن الشخصي[6] .

---

[4]- جيمس ويلسون ستيفن، المرجع السابق، ص 156.

[2]- Sieur TOLLOT, Nouveau Voyage fait au Levant ès années 1731 et 1732, Durand, Paris, 1742, p 61 .

[6]- عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 110.

[1]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 356 .

[5]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 133.

[3]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 164 .

ففي حوالي سنة 1580م كانوا يشكلون هم مع أبنائهم أكثر من نصف سكان مدينة الجزائر، فمنهم من كانوا يجلبون صناع السفن والمهندسين ومختلف الموظفين، فلولا هؤلاء الأعلاج لما ازدهرت وتطورت البحرية الجزائرية، فمنهم من دخل في سلك البحرية للجهاد والدفاع عن الإيالة، ومنهم من تنكر بالزي الإسلامي والعمامة من أجل المصالح الشخصية وللحصول على الامتيازات[1]، ويرى «هايدو» Haedo أن هؤلاء قد اتخذوا من الجزائر موطناً لكسب المال، ولتحسين ظروفهم وأوضاعهم المعيشية، وكان أغلب رياس البحر في القرن 16م أعلاج، ويعد البايلرباي العلج علي باشا (1568-1587 م) أبرزهم [2] .

ج – **الكراغلة:** تسمية تطلق على فئة اجتماعية داخل إيالة الجزائر، وهم أبناء الأتراك الذين وفدوا إلى البلاد من نساء أهليات (جزائريات)، شكلوا طبقة وسيطة في المجتمع الجزائري بين الأتراك من جهة وبين الأهالي والعرب والبربر من جهة أخرى[3]، وقد كان الكراغلة مهمشين ومبعدين عن مختلف الوظائف وتلقوا معاملة سيئة من الحكام الأتراك بسبب قضية حصولهم على امتيازات اجتماعية، فقد كان للأجانب حظوظا وفيرة وسهولة في حصولهم على امتيازات أكثر من الكراغلة [4] .

وفي هذا الصدد، يقول Laugier De Tassy بأن الأبناء الناتجين من زواج رجل تركي بامرأة جزائرية لا يسمون أتراك إطلاقاً، بل كراغلة (Koulgoulis)، كما يضيف أنهم ينخرطون في الجندية لكن دون الوصول إلى دوائر السلطة، ولا يحظون بترحيب من الحكام بسبب دمهم التركي الذي اختلط بالدم الجزائري[5]، ويذكر «جون وولف» John Wolf أن الكراغلة هم أولاد الانكشارية من الأهليات، وقد رحب الأهالي بهذا التحالف لأنهم بذلك يحصلون على حامي يحميهم من رجال المليشيا، والكراغلة كانوا بحد ذاتهم مشكلة، فمن الطبيعي أنهم كانوا يرغبون في التمتع بامتيازات آبائهم، غير أن الذين ولدوا بالأصالة أتراكاً وكذلك الأعلاج لم يسمحوا لهم بالعضوية الكاملة في جماعتهم (الجندية والبحرية) [6].

[1] Henri Delmas DE GRAMMONT, op.cit, p 128.

[3]- Docteur BONNAFONT, op.cit, p 137.

[4]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 136.

[5]- Laugier DE TASSY, op.cit, p 79.

[5]- عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 111.

[4]- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 163.

حسب «دي بارادي» Venture De Paradis، تحتوي الجزائر خلال القرن 19م على حوالي 5 آلاف منزل، أي ما يعادل حوالي 50 ألف نسمة، ومنهم ما يقارب 6 آلاف كرغلياً. والأتراك في وسط بقية الأجناس بالإيالة فيعتبرونهم أعداءاً لهم وأن على هؤلاء السكان الخضوع للأتراك وإظهار الطاعة والولاء لهم، ويرون الكراغلة أشد عدو لهم من بقية الفئات الأخرى[1]، وذلك تخوفاً من كثرة عددهم، وأيضاً من اِلتفافهم حول الأهالي أخوالهم والاتحاد معهم لتشكيل قوة جديدة في المجتمع والتأثير على وجود الأتراك وحامياتهم بالجزائر، ما جعل الكراغلة تحت الرقابة المستمرة مع تجريدهم من كامل الامتيازات الاجتماعية [2] .

وقد لاحظنا أنه خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، أدت محاولات الحد من دور الكراغلة في النهاية إلى ثورة حاول خلالها بضعة آلاف منهم أن يستولوا على مقاليد السلطة في الإيالة، ثم أن انفجاراً في مخزن البارود قد وضع حداً للثورة، ومنذئذ لم يسمح للكراغلة سوى بالخدمة في القوات المسلحة لفترة معينة [3] .

ثانياً – أهل الذمة:

1 - اليهود:

اليهود يشكلون عنصراً آخراً من عناصر المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية، ويشكلون أعداداً كبيرة بالإيالة الجزائرية، حسب «غراماي» Grammay هم المنحدرون الأوائل الوافدون إلى إفريقيا بعد هدم بيت المقدس من طرف «تيتوس» Titus، والذين تركوا موطنهم إثر اصطدامهم بالرومان والفرس والنصارى، فقد تواجدوا بالمنطقة منذ القدم (2500 سنة)، ولكن أكبر عدد منهم جاء من الذين تم طردهم من أوروبا، من إيطاليا سنة 1342م ومن الأراضي المنخفضة (هولندا) سنة 1350م، ومن فرنسا سنة 1403م وإنجلترا سنة 1422م ومن اسبانيا مع نهاية القرن 15م[4]، واحتل هؤلاء الجزء الأسفل من كل جهة في في شارع السوق الكبيرة وخاصة بين الشارع والبحر، كما نجدهم بالقرب من باب الواد ومقابل السور حيث يوجد هناك معبدهم الرئيسي «الحارة»، وجلبوا بحيلتهم المال والعلم

[1]- Venture DE PARADIS, op.cit, p 3.
[2]- Henri Delmas DE GRAMMONT, op.cit , p 130 .
[1]- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 163.
[4]- Laugier DE TASSY, op.cit, p 74.

وبكفاءاتهم واستعدادهم للتجارة والصناعة، كما حفظوا بكل ورع وتقوى في مكتباتهم عدداً كبيراً من المخطوطات، ومهنة اليهود التقليدية هي صياغة الذهب وصك النقود والتجارة [1] .

واليهود الذين يوجد منهم نحو5000 نسمة في مدينة الجزائر يتمتعون بحرية تامة في ممارسة عقائدهم الدينية، كما يتولى إدارة شؤونهم رئيس من أبناء الطائفة يعينه الداي، ويعتبرون رعايا جزائريين يتمتعون بحرية التنقل والإقامة حيث يرغبون، وبممارسة المهنة التي يرونها في حدود القانون في كل أنحاء الإيالة، وهم غير قابلين للاسترقاق، ويدفعون الجزية وضعفي الضرائب الجمركية على كل أنواع البضائع المستوردة من الخارج [2].

بينما يرى الرحالة الألماني الذي زار بايلك الشرق الجزائري خلال مطلع القرن الـ19م «فندلين شلوصر» Schlosser Wendelin أن اليهود بصورة عامة كانوا محتقرين في قسنطينة، فكان اليهودي يعامل معاملة العبد، فإذا احتاج الباي إلى المال فانه يطلبه من اليهود، وحين يكون لشخص ما عمل لا يليق به، فإنه يأخذ اليهودي ليقوم بذلك العمل[3] .

يذكر «هايدو» Haedo أن يهود الجزائر من الممارسين للسمسرة والربا، وقد كانوا يتوسطون في كل العمليات التجارية مهما كانت صغيرة أو كبيرة، ولقد مكن المال كبارهم من التأثير على الحياة السياسية وخاصة في المراحل الأخيرة من العهد العثماني، على الرغم من أنهم أهل الذمة المحرومين من المشاركة في الحياة الإدارية والسياسية للبلاد[4]، ويذكر القنصل الانجليزي بالجزائر سنة 1675م، أن أغلب اليهود كانوا من أصحاب الحرف يعيشون في أحياء قذرة، ويرتدون بدون تمييز الثياب السوداء ومن السهولة التعرف عليهم أنهم يهود، أما بقيتهم كانوا « يهوداً أوروبيين» جاؤوا من اسبانيا والبرتغال أو إيطاليا وكانوا يلبسون ثياباً على الطريقة الأوروبية ومندمجين في المجموعة الأوروبية [5] .

إذا عدنا إلى كتب التاريخ وتصفحنا مذكرات وكتابات الرحالة الغربيين، فإننا سنكتشف بعض الحقائق المثيرة عن يهود الجزائر الذي يصورهم «بفايفر» Pfeiffer في صورة الجبناء والخونة بسبب رفضهم المشاركة في مواجهة الفرنسيين. فمن المؤسف أن تشوه هذه

[3]- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 18.
[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 89.
[1]- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 82.
[2]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 361 .
[3]- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 167 .

الفئة من الجزائريين نفسها بمثل هذه السلوكات البشعة، فكيف يسمح هؤلاء لأنفسهم بخيانة وطنهم والعمل على مساعدة الفرنسيين. وفي إطار الموضوعية في البحث فلا يجب تعميم هذه الصور على كل يهود الجزائر، فهذا يبقى قول «سيمون بفايفر» Simon Pfeiffer[1] .

ومع نهاية القرن الثامن عشر، كانت التجارة الجزائرية بين أيدي اليهود خصوصا عند بروز شخصيات كبيرة منهم أثرت في المجتمع والسلطة وحتى في الداي نفسه، كما كانوا وسطاء العلاقات الجزائرية الفرنسية في تلك الفترة، ثم أصبحوا فيما بعد وسطاء سياسيين بين أوروبا والإيالة، واستطاعوا بفضل حنكتهم عقد اتفاقيات ومعاهدات مع دول أوروبية لم يستطع من قبل أي أحد فعل ذلك. ثم ازدادت قوتهم أكثر في هذه الفترة عندما وصلت العائلتين اليهوديتين «بكري» و«بوشناق» إلى عقد اتفاقيات مباشرة مع السفراء مع عدم السماح لهم بمقابلة الداي، كما صاروا يعينون البايات، ويشرفون على تسيير خزينة الإيالة، مع تحديدهم لقيمة الضرائب والرسوم التجارية.. وفي كلمة واحدة كما قال «دي غرامون» De Grammont، صاروا فعلاً «ملوك الجزائر»[2] .

فالتجمع اليهودي بالجزائر له أهمية وذلك بعد قبولهم في المجتمع، كما أنه تم احترام ثقافتهم. وهم أغنياء ويتمتعون بامتيازات اقتصادية كبيرة، ويعتبرون أسياد العالم في جمع الثروات والأموال، كما يمتلك اليهودي عبداً مسيحياً ويعامله معاملة جيدة لأنه إذا اشتكى أي عبد مسيحي من سيده اليهودي فإن الباشا يستطيع أن يصادر هدا العبد من اليهودي والذي لا يمكن للباشا أن يفعل ذلك مع المسلم، ويضيف «هايدو» Haedo أن من اليهود من اعتنق الإسلام وأصبح مسلماً ويعتبر الأخطر من التركي أو الجزائري وذلك من خلال المعاملة [3] .

2 – المسيحيون :

المسيحيون المتواجدون في إيالة الجزائر، باستثناء فئة الأسرى المسيحيين، فإنهم يشكلون عدداً ضئيلاً، وبسبب قلة النشاط التجاري، وكذلك كثرة أعداد طائفة اليهود في هذه البلاد الذين لا يفوتون أي فرصة للربح، ما جعل ظهور فئة المسيحيين في المجتمع الجزائري غير

[4]- شفيق بوطرفة، المرجع السابق، ص ص 84 - 85 .

[2]- Henri Delmas DE GRAMMONT , op.cit, p 235.

[3]- Diego DE HAEDO, Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduit par: Dr. Monnereau et A. Berbrugger, Editions BOUCHENE, Saint Denis, France, 1998, p 124.

واضحاً كبقية الفئات الأخرى خاصة الأحرار منهم، بينما الأسرى فهم يشكلون أعداداً كبيرة ما جعلهم فئة معتبرة خاصة في المدن الكبرى[1] .

حسب المصادر الغربية، يمثل المسيحيون بالجزائر إحدى أهم العناصر الدخيلة على المجتمع منذ أزمنة طويلة، وشكلوا إحدى أهم الفئات البشرية الفعالة فيه، غير أننا لا نستطيع الجزم حول تاريخ الاتصال الفعلي بهذه المنطقة، فالمصادر اللاتينية لا تكاد تفصل في هذا الشأن، وهذا يرجع لتعرض أرض الجزائر إلى تعاقب عدة عناصر بشرية لأغراض دينية واقتصادية وسياسية خلال فترات تاريخية معينة [2] .

يتم تقسيم هؤلاء المسيحيين المتواجدين بإيالة الجزائر في العهد العثماني إلى أسرى وأحرار:

أ – **الأسرى :** يشكلون في الجزائر قطاعاً كبيراً من السكان، ورغم أن أغلبية هؤلاء النصارى كانوا إسبانيين أو إيطاليين فإن هناك أيضاً أرقاء من كل أنحاء أوروبا، وأغلبهم كانوا من الرجال، غير أن الغارات على المراسي وأسر القراصنة للنساء المسافرات أدى أحياناً إلى وجود عدد من النساء الأوروبيات في الجزائر، ولو كان قليلاً [3] .

يضيف «هابنسترايت» Habenstreit أن عدد الأسرى المسيحيين بالجزائر كان قليل جداً، وهم عادةً ما يحظون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى دول أوروبا التي تكون في سلم مع الداي، وتتكفل البعثة الفرنسية برعاية رجال الدين من الرهبان (الآباء المسيحيون)، كما يوجد مستشفى إسباني بمدينة الجزائر يسيره متصرف ويساعده أحد الرهبان المنتمين لسلك رهبنة عتق الأسرى وهو يقوم بأعمال خيرية لفائدة الأسرى كمعالجة المرضى[4] .

قدم الأسير النرويجي «نيلز نيلسون موس» Neils Nilson Moss وصفه لحالة الأسرى بسجون الجزائر قائلاً: «... والفراش قديم وبال ومتعفن، ويوجد في الجوار حوالي ثلاثون من الأسود والنمور التي كانت تزمجر باستمرار وكانت السلاسل المقيدة بها تحدث ضجيجاً مرعباً حينما كانت تتحرك أو تقفز من أمكنتها فكان يسود الهلع والرعب في نفوس الأسرى

---

[1]- Laugier DE TASSY, op.cit, p 85.

[4]- دهبية بوشيبة، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021/2020 ، ص 511 .

[1]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 171 .

[2]- ج أو هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 34 .

التعساء فيهرعون مذعورين إلى الأماكن المرتفعة للاحتماء بها..»، ويعتبر هذا الكاتب الوحيد الذي قدم معلومات كهذه من داخل سجون الأسرى بحيث أضاف أن أنين العبيد بات مستمراً وهم مكبلين بالسلاسل الحديدية لارتكابهم جرائم خطيرة حيث كان كل أسيرين مكبلين بقيد واحد طول النهار وحتى أثناء خروجهم إلى العمل خارج السجون[1] .

ولتفنيد هذا القول، يكفي الرجوع إلى مصادر غربية أخرى مثل كتابات المجلة الإفريقية أين ذكر «دي بارادي» De Paradis أن أوضاع هؤلاء الأسرى كانت مختلفة من أسير إلى آخر، فكانت وضعيتهم حسنة إذا ما قورنت بوضعية الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية. كما ذكر Berbrugger صاحب كتابات عن الأسرى المسلمين بفرنسا، أن الأسرى المسيحيين بالجزائر كانوا يعاملون معاملة أقل ما يقال عنها حسنة، بينما الأسرى المسلمون في أوروبا يعاملون معاملة قاسية، وتجدر الإشارة أن هؤلاء الأسرى المسيحيين سمح لهم بتقليد بعض المناصب في قصر الداي أو عند المسؤولين [2] .

هناك من الأسرى المسيحيين من اشتراهم الخواص في سوق العبيد (البادستان) من القراصنة، وأيضاً العجزة والشيوخ المسنون الذين اشتراهم الفلاحون لجر المحراث وهم محرومون من كل أمل في أن يكونوا أحراراً، وقسم آخر اشترته البلدية لاستخدامهم في الأشغال العامة، وكانوا يعملون عند مختلف الناس ولا يوجد لهم أسياد معينون، فلا يعرفون مع من يتعاملون لفديتهم.. فلم يكن في إيالة الجزائر خدم أحرار، فمن بيت الملك إلى بيت أفقر السكان يوجد فيها عبيداً مسيحيون للقيام على خدمتها[3]. ومن أجل حصول الأسرى المسيحيين على حريتهم يتوجب عليهم دفع الفدية، فيقوم الأفراد بشرائهم عن طريق المضاربة ثم تأجيرهم بثمن رمزي كل شهر، وبهذه الطريقة يستبدل العبد الأموال التي دفعها، وينتظر سيده فرصة أخرى لينال فدية جيدة. وهذا ما ذكره «دي بارادي» De Paradis في قوله:

---

[3]- نيلز نيلسون موس، أسير نرويجي في مدينة الجزائر (1769-1772م)، تر وتع: لخضر بوطبة، "مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية "، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2019، ص 128 .

[1]- عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 118 .

[2]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 55 .

« Les particuliers qui achètent des esclaves par spéculation les louent à raison d'un demi-sequin algérien par mois lunaire. Par ce moyen l'esclave donne le change de l'argent qu'il a coûté ... ». [1]

ب – **الأحرار:** بالنسبة للمسيحيين الأحرار فيرى «هايدو» Haedo أن عددهم كان قليلاً في إيالة الجزائر، أغلبهم كانوا من التجار الذين يقيمون إلى أن ينهوا أشغالهم فيعودون إلى بلدانهم، هذا إضافة إلى القناصل والسفراء وأعوانهم[2] .

يتوفر القناصل الفرنسيون والإنكليز والسويديون والهولنديون على أماكن إقامة ملائمة في مدينة الجزائر وضواحيها، ويسددون مقابلها كل سنة مبالغ مالية لأصحابها، وليس هناك مقرات (auberges) يأوي إليها هؤلاء الأجانب[3]، كما فرضت بعض القوانين على هؤلاء المسيحيين الأوروبيين المقيمين بالجزائر، فليس بإمكانهم حمل السيف، والوسيلة الوحيدة المتاحة لهم بحملها هي العصا، لكن هذا الأمر لا يتعلق بقادة السفن الأوروبية أو السياسيين المكلفين بتوقيع اتفاقيات أو معاهدات، فهؤلاء يحملون سلاحهم ويدخلون به حتى إلى ديوان الداي، كما هم معفيون من تقبيل يد الداي.. فهذا ما يتوجب على كل قنصل مبعوث إلى الإيالة أو غيره من الأوروبيين المسيحيين الأحرار إلا أنهم كانوا يتمتعون بعدة امتيازات [4] .

من بين الأوروبيين الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني فئة الأطباء وهم مسيحيون جاؤوا من أوروبا، وكانوا ذوي ترحيب واسع بين الحكام والأهالي، ففي سنة 1775م أرسل صالح باي[5] طلباً إلى وكيل الباستيون لإرسال طبيب فرنسي ليعالج ابن الباي الذي كان يعاني من مرض مجهول عجز الطب البديل علاجه [6] .

كذلك التجار المسيحيون الذين كانوا من جنسيات أوروبية مختلفة، أرادوا القيام بعمليات تجارية مع الإيالة خاصة الفرنسيون الذين وقعوا عدة معاهدات تجارية مع الجزائر. نظراً

---

[1]- Venture DE PARADIS , op.cit , p 50 .

[4]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 360 .

[5]- ج أو هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص ص 34 – 35 .

[4]- Venture DE PARADIS, op.cit, p 155.

[2]- صالح باي هو أحد أشهر بايات بايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني، تولى المنصب من سنة 1771 إلى 1792م، ساهم في ازدهار مدينة قسنطينة والبايلك بصفة عامة في العديد من الجوانب خاصة الثقافة والتعليم. ولد بالأناظول وتوفي بقسنطينة سنة 1792م .

[3]- دهبية بوشيبة ، المرجع السابق ، ص 538 .

للثروات الاقتصادية التي تزخر بها، فتعاملوا مع الشرق الجزائري منذ القرن الثالث عشر للميلاد لصيد المرجان.. ما عزز من تواجد فئة التجار الأوروبيين بإيالة الجزائر طيلة فترة الحكم العثماني [1] .

وخلاصة القول، نلاحظ أن تقسيم المؤلفين الغربيين لفئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني قد يختلف من مؤلف إلى آخر، وذلك باختلاف الأزمنة والقرون.. فمثلاً الراهب الاسباني «دييغو دي هايدو» Diego De Haedo (خلال القرن 16م) ذكر أن المجتمع الجزائري يتكون من مور، أتراك، أعلاج، يهود، أندلسيين ومرابطين. وفي القرن الموالي وبالضبط سنة 1637م نشر «بيار دان» Pierre Dan كتابه «تاريخ بلاد البربر وقراصنتها» وفيه قسم مجتمع الإيالة إلى نفس المجموعات التي ذكرها «هايدو» مع إضافة المسيحيين الأسرى الذين ظهروا أكثر على مسرح الأحداث مقارنة بالقرن السابق (القرن الـ16م).. وفي القرن الـ18م عمل كل من المستشرق الفرنسي «فونتور دي بارادي» Venture De Paradis والعالم الألماني «هابنسترايت» Habenstreit والدبلوماسي «لوجي دي تاسي» Laugier De Tassy وغيرهم على التوسع في الإحاطة بكامل الأجناس والأعراق التي تسكن الإيالة، فإلى جانب ما ذكره الأولون من الكتاب الغربيين تم ذكر فئة الكراغلة الذين أحدثوا تغييرات مهمة في تاريخ الحكم العثماني بالجزائر، مع التفصيل في التركيبة البشرية للأهالي من حضر ومزابيين وبسكريين وبربر وعرب.. ليكون مؤرخو القرن الـ19م أصحاب أسلوب مميز في الكتابة عن تاريخ الجزائر الحديث وذلك باعتمادهم على كتابات الأولين منهم، فأشاروا إلى جانب الأسرى المسيحيين وجود مسيحيين أحرار من تجار وسفراء وقناصل نظراً للعلاقات الجزائرية الأوروبية التي ميزت السياسة الخارجية في تلك الفترة.

[4]- المرجع نفسه ، ص 544 .

المبحث الثاني : نشاطات فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

ساهمت مختلف شرائح المجتمع الجزائري في إحياء جوانب وقطاعات شتى من الحياة في الإيالة، وذلك بمزاولة نشاطات متنوعة دلت على إسهامات وفعاليات كل فئة داخل المجتمع.

1 – نشاط الأهالي :

يرى الفرنسي «لوجي دي تاسي» Laugier De Tassy أن الأغلبية من الأهالي يمارسون الفلاحة، فيزرعون الأرض ويقومون ببيع الحبوب ومنتجاتهم الأخرى بأسواق المدن، كما يشرفون على تربية النحل لإنتاج مادة العسل. أما النساء، فتقومن بالأشغال المنزلية بما فيها إعداد الطعام، وكذلك قطع الحطب لإشعال النار، وجلب الماء من الينابيع [1] .

وذكر «بوتان» Boutin أن الأهالي ينتجون كميات كبيرة من زيت الزيتون، كما يحصدون مادة التبغ في بعض المناطق لكنهم لا يحسنون تحضيرها، كما يزرعون العنب

[1]- Laugier DE TASSY , op.cit, p 58.

ويقومون بحصاده بطريقة مختلفة: ففي شهر أفريل من كل سنة يقطعون كل الجذوع ويتركون فقط الجذر ويقوم بعض الناس بشرائه لإنتاج الخمر، والأهالي الذين يرغبون بجمع حصادهم أو خبأه، يضعونه في مطامير تكون عادة مملوءة بالزاد والحبوب لفترات طويلة [1] .

ويخبرنا الرحالة الدكتور «توماس شاو» Thomas Shaw، أن إنتاج الأهالي للقمح كان كبيراً جداً، كما أنتجوا الزيت والخضر والفواكه ولكن بكميات قليلة، أما بيع الزيت بكميات كبيرة والمتاجرة به لا يتم إلا مع التجار المحليين من الأهالي، ويضيف كذلك أن المنتجات الأساسية لمتطلبات الحياة هي قليلة جداً... فقد وصف النشاط الفلاحي للأهالي بالضعيف [2] .

يشير «هايدو» Haedo إلى أن نشاط الأهالي تميز بالتنوع، فهم رواد الحرف، خاصة في المدن أين ذكر وجود صائغين، دباغين، خياطين، إسكافيين، بنائين، صناع البارود والأسلحة والأقواس والسيوف، صناع السروج والسلاسل والدروع، النجارين... كل الحرف الضرورية في المدن كانت متوفرة بالجزائر، يرأس الحرفيين معلم الورشة أو الحرفة [3] .

ويقول «ويليام شالر» William Shaler عن الأهالي في مذكراته: « يتمتعون بمهارة كبيرة في البناء بالأجر والحجر، ويمكن القول بحق بأنهم على درجة من الكمال من الناحية العملية، وتطريز الجزائريين بارع ويدل على ذوق رفيع، والطلب على منتجاتهم قوي في الخارج. ولكنهم لم يتقدموا في صناعات النجارة والبرامل والحدادة والأحذية» [4] .

كما أضاف «دي بارادي» De Paradis في كتابه صناعة اللوحات الخشنة على الطراز المصري والمغاربي، والتي يستخدمها أهل الريف والمدينة في التعليم. كما تصنع ملابس حريرية بجميع الألوان والأشكال، كما تواجد أيضاً إنتاج لمختلف الطاقيات (الشاشيات) في مدينة الجزائر، أين تصنع كذلك أحذية مغربية وجلود وأصواف ومحافظ تسمى الجزدان [5] .

كما مارس الأهالي نشاطات أخرى حسب «كورين شوفالييه» Corinne Chevalier : «كما أنهم يعملون بالتجارة ويمارسون النشاط البحري كلما سنحت لهم الفرصة، ويعملون

---

[1]- Vincent Yves BOUTIN , op.cit, p 172.

[2]- Thomas SHAW, Voyage dans la Régence d'Alger ou Description géographique ,physique, philologique de cet état par le Dr. SHAW, Tr : J. McCarthy, Ed MARLIN, Paris, 1830, p 120.

[3]- Diego DE HAEDO , op.cit, p 107.

[1]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 93 .

[5]- Venture DE PARADIS, op.cit, pp 15 – 16.

أيضاً في تجارة الذهب والعبيد مع إفريقيا السوداء، ويزرعون حدائقهم في سهل المتيجة، ويبيعون للبحارة الأجانب منتجاتهم الفلاحية والصناعية كالزبدة، العسل، الجلد، والشمع » [1] .

وتخصص المزابيون والبسكريون والأغواطيون في بعض النشاطات مثل العمل في الحمامات، القصابات، الطواحين، وعملوا كمزودين بالعبيد السود، كما تخصصوا في السقاية (حمل الماء) وفي تنظيف القاذورات والأوساخ، في حفر آبار المياه، كما أنهم يعملون كذلك عتالين عند آخرين[2] .

أما القبائل فهم يجنون من زراعة أرضهم وتربية مواشيهم كل ما يحتاجون إليه لمعيشتهم، كما ينسجون الأقمشة الصوفية بكثرة، ويعملون على إنتاج زيت الزيتون الذي يستهلك عبر كامل الإيالة، ويستخرجون الحديد من المناجم لصناعة الأواني البسيطة والآلات الزراعية، وأيضاً صناعة الصلب كمختلف أنواع الأسلحة والبارود والسكاكين[3] .

أما فئة الحضر، فقد كانت الطبقة القوية من حيث العدد والنشاط بحيث امتلكوا واشتغلوا في معامل الحديد، السباكة، وبناء السفن، وأيضاً الدكاكين والمخازن والحوانيت ومعارض الحرف التقليدية ودكاكين حلاقة ومقاهي وحمامات. وكان الحضر بمدينة البليدة يمارسون الحدادة والنسيج والنجارة ، كما اعتنوا بالحدائق والبساتين والزراعة حسب «روزيت» [4] .

وبالحديث عن فئة العرب فقد عرفوا بالنشاط الفلاحي والريفي، فإلى جانب ذلك يضيف ليسور ويلد Lessore Wild : « كما يوجد بضواحي الجزائر معامل قرميد عديدة يصنع فيها العرب أواني ورؤوس غلايين صناعة تنم عن مهاراتهم الخاصة » [5] .

2 – نشاط الأندلسيين :

جلب الأندلسيون من بلادهم تقاليدهم الفنية والحرفية حيث أنهم يصنعون الأسلحة والبارود، ويقومون بتربية دودة القز، ويصنعون الأقفال، ويعملون بالنجارة والنحت، يتقنون

[3]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 16 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 19 .
[3]- Stephen D'ESTRY, Histoire D'Alger, Quatrième édition, Ed. Mame Et Cin Imprimeurs-Libraires, Tours (France), 1843, p 145.
[1]- أندري بريتان و أندري نوشي و إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 203 – 204 .
[2]- ليسور ويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتعليق وترجمة: محمد جيجلي، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 45 .

البناء والخياطة وصناعة الأحذية، ويتقنون صناعة الفخار. كما أن الأندلسيين اهتموا بالقرصنة وذلك بسبب كرههم الشديد للمسيحيين الذين أضاعوا بلادهم، ولوفرة الإمكانيات لديهم صنعوا السفن الصغيرة وجهزوها بالسلاح لإرسالها للقرصنة وإلقاء القبض على عبيد مسيحيين كلما سنحت لهم الفرصة للانتقام [1] .

ويذكر الاسباني «هايدو» Haedo أن منهم التجار الذين مارسوا التجارة كبيع الأقمشة وغيرها، وزاولوا نشاطات مختلفة في دار السلطان في شرشال، البليدة والقليعة، وكذلك في بجاية وتلمسان. كما رأينا أن الأندلسيين أدخلوا مزروعات جديدة وصناعات جديدة إلى الجزائر وبفضلهم ازدهرت عدة مدن، وانتشرت الموسيقى الأندلسية [2] .

ويرى «دي بارادي» De Paradis نفس الرأي تجاه العنصر الأندلسي، حيث كانوا يمارسون المهن المختلفة والتجارة، وقد عرفت بعض المدن الجزائرية في العهد العثماني تطوراً ملحوظاً شمل مختلف القطاعات الاقتصادية، خاصة بعد أن هاجر إليها المسلمون من الأندلس، إذ استطاعوا تجديد وتطوير الصناعات المحلية التقليدية. كما عرفت الزراعة انتعاشاً كبيراً، فتمكن الأندلسيون بعد انصهارهم في المجتمع الجزائري من إحياء عدة موانئ جزائرية، وأدى نشاطهم إلى تحويل المدن الجزائرية إلى مراكز استقطاب للسكان [3] .

حسب Berbrugger، الأندلسيون يتمتعون بخبرة في الميدان العسكري عندما استعان بهم الحكام العثمانيون لإخماد التمردات، فأصبحت هذه الفئة دعامة أساسية للعثمانيين بالجزائر لا يمكن الاستغناء عنها نظراً لإخلاصهم وحبهم للعمل، فقد قاموا بحل مشكلة المياه التي كانت تعاني منها مدينة الجزائر عندما قاموا بحفر العديد من العيون والآبار، وكذلك استصلاحهم للأراضي بالسهول وغرس أشجار الثمار حتى صارت أغلب الأراضي الزراعية ملكاً لهم، كما أنهم اشتغلوا في المجال العقاري والاستثمار وهذا ما أشارت إليه

[3]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 17 .
[4]- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 359 .
[1]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر الطباعة التوزيع والترجمة، الجزائر، 2011 ، ص 81 .

المجلة الإفريقية في عقد سجلات المحاكم الشرعية (شراء سيدة أندلسية لجنة بفحص طويلة عام 1648م) [1] .

وحسب «جون وولف» John Wolf، الأندلسيون أغنياء جداً لبيعهم الأرقاء إلى عائلاتهم المسيحية في أوروبا واستثمار النقود في سفن قرصنة جديدة لأسر أرقاء آخرين (تجارة العبيد)، كما ذكرنا أنهم كانوا يخرجون إلى البحر في سفن قرصانية ويغيرون على بلاد الأندلس، جاء بعضهم بمهارات مختلفة الأوصاف مثل نسيج أقمشة الحرير والصوف وصنع الأسلحة وخدمة الجلود وتجارة المعادن، ونالوا شهرة بدفاعهم القوي ضد محاولات الإنزال الاسبانية كما أنهم ألحقوا بهم خسائر فادحة [2] .

3 – نشاط العثمانيين :

كان الأتراك في إيالة الجزائر طيلة ثلاث قرون من الحكم العثماني هم الطبقة الحاكمة ومنهم أعضاء في الجيش. وهم الوحيدون الذين يمكنهم الصعود إلى مراتب السلطة في الهيكل العسكري والسياسي للمجتمع[3] ، وبالحديث عن الأتراك البسطاء الذين لم يتولوا مقاليد السلطة والمناصب وعاشوا كغيرهم من سكان الجزائر، فيذكر إيف بوتان أن نشاطاتهم كانت متنوعة، فبعد استيقاظهم المبكر صباحاً عقب أداء صلاتهم يتوجهون إلى العمل في محلاتهم الخاصة، التي يقومون بغلقها بعد العصر، فمنهم من كان يمتلك محلات الحلاقة أو مقاهي أو أسواق... [4]

أما الإنكشاريون من الأتراك، فنشاطهم تمثل في الجندية بمختلف الثكنات العسكرية بالجزائر، ويحصلون على رتبهم العسكرية بالأقدمية، ويكون راتبهم زهيداً جداً ثم يزداد في كل سنة بعد القيام ببعض الأعمال المأثورة، ما عدا الجنود المشاة الذين يرتكز عملهم بالأساس على الحفاظ على النظام وأيضاً جمع الضرائب، وتستغرق مدة خدمتهم ثلاث سنوات: سنة في مدينة الجزائر، وثانية داخل البلاد وثالثة عطلة دون عمل[5] .

[2]- عبد الجليل رحموني ، المرجع السابق ، ص 112 .
[3]- جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص 166 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 160 .
[4]- Vincent Yves BOUTIN , op.cit , p 138 .
[2]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 65 .

ويذكر «هايدو» Haedo أن الأتراك مارسوا كذلك التجارة، وقبل أن يكونوا تجاراً كانوا إنكشاريين وبحارة ثم اتجهوا إلى النشاط التجاري الذي ظهر بالنسبة لهم أسلوب حياة بسيطة. ومنذ صغرهم كانوا يهتمون بهذا العمل بتشجيع من أسيادهم ومعلميهم، وتاجروا بضواحي الجزائر في القمح، الشعير، الأرز، الأبقار، الثيران، الكباش، الجمال، الحرير، الأصواف، الزيوت، الزبدة، العسل، العنب الجاف، التين، التمور.. كما أضاف هايدو أن الكثير منهم يقومون ببيع غنائم البحرية والأسرى المسيحيين في الأسواق[1] .

أما الأعلاج، فيذكر «جون وولف» John Wolf استناداً إلى أقوال الغربيين أمثال الإنجليزي «فرانسيس نايت» Francis Knight، أنهم أصبحوا جزءاً من فرقة الإنكشارية، فقد انخرطوا مبكراً في النشاط العسكري، ووصفهم بأنهم كانوا يحكمون الإيالة، لكن لم يسمح لهم بالعضوية الكاملة في الانكشارية. إلا أنهم لعبوا دوراً أكثر أهمية في منظمة الميليشيا (الإنكشارية) وفي حكومة الإيالة، فقد كانوا مصدر ثروة بشرية و مهارة [2]. وحسب كورين شوفالييه، كان العلج الذي يدخل الإسلام يقوم بقيادة سفينة قرصنة، وأكبر رياس البحر بإيالة الجزائر هم من الأعلاج لأنهم عادة ما يكون عندهم خبرة في أمور البحر وللانتقام من البلدان التي لم تعطهم حقوقهم، لذا فقد وضع الأعلاج أنفسهم في خدمة الإيالة نظراً لمعرفتهم وقوة نشاطهم في السواحل الأوروبية، كما برزوا بشكل أخص في المرافئ والمنارات [3] .

وحسب «هايدو» Haedo فإن بعض الأعلاج قد مارسوا التجارة، خاصة الخارجية بمرافقة السلع والبضائع إلى مكان الشحن ثم بيعها واسترداد الأسعار، خدمة للأتراك الذين لم يعتادوا مثل الأوروبيين على الارتباط التجاري مع التجار الأجانب. كما كانوا يشرفون على إدارة محلات الأتراك نظراً للثقة القوية بين الطرفين، ويبلغ عدد هذه المحلات المتواجدة في مختلف الأسواق حوالي 2000 محل[4] .

وبالنسبة للكراغلة، فقد أشار الفرنسي «فونتور دي بارادي» Venture De Paradis إلى أنهم مارسوا وانخرطوا في سلك الجندية ويعملون في الحاميات. يبدأون التدرج مثل آبائهم الأتراك من رتبة اسكي خاص، يولداش، ثم اسكي باشي.. إلا أن الكراغلة تنتهي

[1]- Diego DE HAEDO , op.cit , p 103 .

[4]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 163 .

[1]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 63 .

[4]- Diego DE HAEDO , op.cit, p 106.

خدمتهم عند وصولهم إلى رتبة معينة ولا يسمح لهم بالبلوغ إلى رتبة أغا الانكشارية أو الرتب العليا في الجيش. ويبقون في مناصبهم لمدة عام كامل، وتمنح لهم أجوراً ضئيلة [1]. هذا التمييز بين التركي والكرغلي هو ما مهد لعداوة سرية داخل أجهزة الحكم، وقد خططت العناصر الكرغلية للانقلاب على الأتراك وطردهم انتقاماً للتهميش الذي عانوه منهم خاصة بسبب استبعادهم من الوظائف والمناصب الحساسة ومن الحاميات في فترات لاحقة [2].

وذكر أن منهم من اشتغل في الحرف كصناعة الساعات والأسلحة كالمسدسات والبنادق المحملة بالخشب... وبسبب عداوتهم مع الأتراك فهم لا يوظفونهم إلا رغماً عنهم عندما يفتقرون إلى الرعايا ويتم استبعادهم من مختلف المهن الأخرى، إلا أنهم مارسوا التجارة واشتغلوا بالصناعة، واستثمروا الملكيات الزراعية بالفحوص، وفي بعض الأحيان قاموا بأعمال ووظائف إدارية متوسطة الأهمية [3].

4 – نشاط اليهود :

يذكر القنصل الأمريكي «وليام شالر» William Shaler أن اليهود الذين يوجد منهم نحو 5000 نسمة في الجزائر يتمتعون بحرية في التنقل والإقامة حيث يرغبون، وبممارسة المهنة التي يرونها في حدود القانون في جميع أنحاء الإيالة، وهم غير قابلين للاسترقاق. وكما هي عاداتهم في بلدان أخرى يمارسون جميع أنواع التجارة مع دفعهم للجزية وضعفي الضرائب الجمركية المستحقة على جميع البضائع والسلع التي يستوردونها من الخارج[4].

ويذكر «هايدو» Haedo أن اليهود القادمين من اسبانيا كانوا يعيشون بممارسة التجارة، لدى معظمهم متاجر لبيع الخردوات أو غيرها من السلع الصغيرة، ومنهم من يبيع نفس السلع لكن متجولاً في مختلف الشوارع، حاملاً سللاً أو صناديق على كتفيه ويصرخ «من يريد الشراء»، ومنهم من اشترى غنائم الجهاد البحري لدى البحارة وأعاد بيعها خارج الإيالة للتجار الأجانب المسيحيين أو لتجار تونس وجربة وطرابلس أو تطوان وفاس وطرابلس

[1]- Venture DE PARADIS , op.cit, p 77.
[2]- IBID , p 80 .
[3]- IBID , p 122 .

[1]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 89 .

وحتى القسطنطينية، وأضاف أن منهم كذلك من كان يمتهن حرفا مختلفة كالخياطة، الصياغة، البقالة، ومنهم من يشتغل في مادة المرجان [1]، وهم يحتكرون في هذه البلاد أعمال السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة، وذلك في الذهب والفضة على السواء، والحكومة لا توظف سوى اليهود في عمليات صك النقود [2] .

وحسب «كورين شوفالييه» Corinne Chevalier ، فإنهم يتمتعون بامتيازات اقتصادية كبيرة، ويمارسون حرفهم على نفقة المسيحيين أو المسلمين، ويعتبرون على الخصوص الوسطاء الوحيدين فيما يخص العلاقات الدبلوماسية أو التجارية بين أوروبا والجزائر، وهم أول من اخترع الكمبيالات واستعملوها في معاملاتهم مع مراسيلهم من كل أنحاء أوروبا [3].

ويشاركها الدبلوماسي الفرنسي «لوجي دي تاسي» Laugier De Tassy نفس الرأي حول هذه الفئة، بأن منهم يهود الفرنجة الذين جاؤوا من إيطاليا واستولوا على التجارة الرئيسية في البلاد، سواء في السلع أو فداء الأسرى، ويقومون بالشراكة مع يهود الجزائر واستولوا على النفط والشمع والمزارع ويحققون أرباحاً كبيرة، ووضعوا أنفسهم تحت حماية القناصل الفرنسيين وفر وصولهم [4] .

يضيف «دي غرامون» De Grammont أن بحلول نهاية القرن الـ18م، أصبحت التجارة الجزائرية بين أيديهم خاصة عند ظهور منهم وسطاء العلاقات بين الجزائر وأوروبا في تلك الفترة، واستطاعوا بفضل حيلتهم عقد اتفاقيات مع دول أوروبا لم يستطع من قبل أي أحد فعل ذلك إلا العائلتين اليهوديتين بكري وبوشناق مع تسييرهم للخزينة، وتحديد قيمة الضرائب والرسوم التجارية[5]. وحسب «بايسونال» Peyssonnel، فإن التجارة الرئيسة تمثلت في تجارة القمح خاصة مع فرنسا، وتصدير منتجات أخرى كالزيوت والجلود وبعض الخضر[6] .

.

5 – نشاط المسيحيين :

[1]- Diego DE HAEDO , op.cit , p 122 .

[3]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 89 .

[4]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 67 .

[1]- Laugier DE TASSY , op.cit, p 76.

[5]- Henri Delmas DE GRAMMONT, op.cit, p 235.

[6]- Jean-André PEYSSONNEL et René Louiche DESFONTAINES, Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger, Tome 1, Editeur des annales des voyages, Paris, 1838, p 257.

يشكل الأسرى في الجزائر عدداً كبيراً من السكان، وحسب «جون وولف» John Wolf بعضهم كان يعمل جدافاً في البحر، وبعضهم عملوا في مقالع الحجارة، وفي المزارع، وشتى الطرق، أو عمليات البناء، غير أن هناك من كانوا خدماً مترفين، عاملين في البيوت كأفراد من العائلة، مرتدين ثياباً فاخرةً وكان عملهم خفيفاً، ويكون أيضاً عملاً هاماً، وأضاف أن آخرون يديرون الخمارات، وكانوا أصحاب حرف، ونظاراً وصناعاً مهرة في أحواض صناعة السفن[1]، وقد تواترت الأخبار بأن أهل الثقافة منهم ورجال المهارات يعطون عملاً منحطاً، ومنهم من كانوا يحملون الأثقال أو يفلحون الأرض، أو يجدفون السفن، كانوا تقريباً هم الناس الذين كان عملهم في أوروبا أيضاً عملاً شاقاً، ومن الأكيد أن هناك استثناءات وخاصةً في أوائل القرن الـ16م، حيث كان مشاهير الضباط يجبرون على التجديف [2].

بالإضافة إلى ما تم ذكره من نشاطات من طرف «كورين شوفالييه» Corinne Chevalier، فالأسرى الوحيدون الذين تم إغراؤهم حقاً هم أولئك الذين لديهم معارف خاصة، بإمكانهم تقديم نادرة مثل : بناء السفن البحرية، معلمين نجارة، سباكين، قادة السفن.. هؤلاء كلهم تحتاج إليهم البحرية، كذلك البناؤون والمهندسون المعماريون، وعموماً كل من يمكنه تقديم النفع والعون والفائدة في صيانة التحصينات والأسوار، فقد كانت لهم خبرة مميزة في شؤون الصناعة البحرية [3] .

وذكر في المجلة الإفريقية، أن الأسرى المسيحيين قد خصصت لهم مراكز، ويكلف منهم من يتقن الكتابة والقراءة لتسجيل الأحداث يسمى الكاتب الكبير، وفي هذه المراكز يتولى الأسرى مهام مختلف، ويسير شؤونهم ضابط يسهر على مراقبة مدى ممارستهم للمهام المخولة لهم، وبعد مدة بإمكان الأسير شراء حريته وإطلاق سراحه نظير الأعمال التي قام بها[4].

لقد اشتغل العبيد المسيحيون في منازل جميع الأعيان والأغنياء في إيالة الجزائر، كما اشتغلوا أيضاً في قصر الداي ويحكي في هذا الصدد «جيمس كاثكارت» James Cathcart والذي كان أسيراً بالجزائر، فيقول: «...لدى وصولي إلى القصر ثلاثة وثلاثون عبداً من المسيحيين الذين ينتمون إلى مختلف الطوائف والبلدان، لا يسمح لهم بالخروج من القصر

[4]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 171 .
[5]- المرجع نفسه ، ص 212 .
[1]- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 63.
[2]- عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 118.

سوى مرتين، وذلك في اليوم التالي للأعياد المسيحية... يستخدمون للقيام بمختلف الأعمال، في المكاتب والمطبخ وفي مخازن القصر، ويشرف على أعمالهم رؤساء الطباخين » [1] .

أما فئة المسيحيين الأحرار، الذين هم القناصل الذين يعملون في القنصليات، ووكلاء المؤسسات التجارية وقساوسة الإرساليات، وكذلك التجار الذين استقروا بالجزائر منذ نهاية القرن السادس عشر لاصطياد المرجان والمتاجرة به وكذلك ممارسة كل أنواع التجارة. وذلك حسب ما أورده الفرنسي«غراماي» Jean-Baptiste Gramay[2] في مذكراته .

وإلى جانب القناصل والتجار، ذكر النرويجي «موس» Moss أن هناك عدد قليل من رجال الدين الذي كانوا يعملون على افتداء الأسرى ورعايتهم بأموال التبرعات، وكانوا يسهرون على تسيير أمور الكنائس والمصحات المتواجدة بالسجون، ومنهم كذلك الأطباء[3] .

وخلاصة القول، من خلال ما تطرقنا إليه في هذا المبحث بالاعتماد على المادة الإخبارية للكتاب الغربيين، لاحظنا مدى غنى مجتمع إيالة الجزائر خلال فترة الحكم العثماني بنشاطات وإسهامات كل شريحة، سواءاً في القطاع الزراعي التي اختص فيها الأهالي والكراغلة، كما تفنن أهل الأندلس في الحرف والصناعات المختلفة، وقد استحوذ اليهود على التجارة وخاصة الخارجية مع العديد من الأطراف... ولاحظنا بروز مهارات الأتراك في الجانب الإداري والعسكري، وجماعة الأعلاج في البحرية، مع دور الأسرى المسيحيين في التجديف وصناعة السفن... فيعود الفضل لهذه المجموعات في بجهودها الملحوظة ودورها في النهوض بالإيالة ونشاطها الاقتصادي والعسكري، وفي عدة قطاعات أخرى، ونسجل كذلك نقطة أخرى تتمثل في الاختلاف الطبقي لدى هذه الفئات حسب نشاطاتهم في المجتمع، حيث كان الأتراك أسياد البلاد الذين استولوا على مقاليد السلطة، واليهود هم ملاك التجارة

[3]- جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص 25.

[4]- جون باتيست غراماي Jean-Baptiste Gramay مؤرخ وديبلوماسي وجغرافي فرنسي من مواليد سنة 1579م بمدينة Anvers بفرنسا. كان أستاذاً في جامعة Louvain ألف في التاريخ باللغة اللاتينية. توفي في ألمانيا الشمالية سنة 1635م.

[5]- إلياس سبوعي، المرجع السابق، ص 167.

ووسطاء في العلاقات السياسية، أما الفئات الأخرى فهي من الطبقة المتوسطة، بحيث كانت أعمالها بسيطة ومتواضعة من زراعة وحرف وصيد وتجديف وغيرها من النشاطات...

الفصل الثالث

مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد :

إن الجانب الاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني من المواضيع التي لم تفصل فيها الكتابات الغربية بقدر ما فصلت في دراسة الواقع السياسي والقطاعين العسكري والاقتصادي للإيالة، إلا أن هناك من الغربيين من ركز على هذا الجانب مبرزاً أهم النقاط التي تستوجب الوقوف عندها في هذا الفصل، كالزواج والمرأة، الأخلاق والمعاملات بين السكان وعلاقتهم بمرافقهم العمومية وتصرفاتهم فيها، بالإضافة إلى مدى تعلقهم بالدين وعقائدهم، الاحتفالات الدينية، العادات والتقاليد... مع اختلاف وتضارب آراء الكتاب ونظرتهم إلى هذا الجانب.

المبحث الأول : الجانب الأسري في المجتمع الجزائري

لا شك أن الأسرة هي نواة وأساس تكوين المجتمع، وهو ما ينطبق على المجتمع الجزائري في هذه الفترة، الذي عرف مسألة الزواج وكيفية عقده وإتمامه، وكذلك الطلاق، دون أن ننسى المرأة ومكانتها في هذا المجتمع.

1 – الزواج والطلاق:

أ- الزواج: يذكر «وليام سبنسر» William Spencer أن الزواج في المجتمع الجزائري كان له دستوره، كما أن للمصاهرة عوامل تحققها لكلا الطرفين، كالرغبة في التقرب من عائلات ذات الشأن والمكانة المرموقة (منصب سياسي هام) وأيضاً السلوك الاجتماعي والعرف والتقاليد، وكذلك من أجل استمرار الترابط العرقي بين فئات المجتمع بعضها البعض[1] .
ونسجل حول مسألة الزواج في المجتمع الجزائري بعض النقاط هي:

- تعدد الزوجات: فحسب كتابات «هايدو» Haedo، كان الأهالي والأعلاج يكتفون بالزواج من امرأة واحدة، لكن أغلبيتهم يتزوجون اثنتين أو ثلاث أو أربع نساء نظراً لما نصت عليه الشريعة الإسلامية.

- مصاهرة الأهالي لمختلف فئات المجتمع: فقد أضاف أن أهالي الجزائر المسلمين يتزوجون مع بعض النساء التركيات من القسطنطينية وهذا الأمر نادر جداً، وأيضاً مع أندلسيات، مسيحيات ويهوديات اعتنقن الإسلام، ويزعم كذلك أن الأهالي يفضلون الزواج من بنات الأعلاج نظراً لكمالهن ونسبهن وتميزهن بالذكاء وحسن تنظيم أمور المنزل أحسن من التركيات والأندلسيات [2] .

- زواج الأتراك بالجزائريات والمسيحيات: ذكر «هابنسترايت» Habenstreit أن الأتراك الخلص الذين ينحدرون من آباء وأمهات أتراك يضطرون للزواج من الأسيرات المسيحيات، كذلك مع نساء البلاد أي الجزائريات، رغم ذلك فالأتراك ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار، ونفس النظرة تحملها النساء التركيات عن الجزائريين [3].

---

[1]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 116 .

[2]- Diego DE HAEDO , op.cit , p 129 .

[3]- هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 29 .

- ظاهرة التوسط لطلب الفتاة: هناك ظاهرة كانت شائعة في خصوص العرف الزواجي بالجزائر تتمثل في التوسط، ويتم عادة عن طريق اِمرأة مسنة صديقة لعائلتي الزوج وزوجة المستقبل... ونظراً للسرية التامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كن يقمن بعمل ذي قيمة، يذهبن من بيت إلى بيت في مهمات للعائلات اللائي لهن أولاد في سن الزواج ويستعلمن عن تواجد النساء، أو يجلبن الأخبار عن التطور الجسدي للفتيات من البيوت إلى من يريدون تزويج أبنائهم... كما أن المتوسطات كن مفيدات في تزويد الآباء بالمعلومات عن الحالة المادية لأصهارهم المحتملين مستقبلاً [1] .

- كيفية إتمام عقد الزواج وشروطه: أما عن هذه النقطة المهمة، فقد حدثنا المغامر والرحالة الفرنسي «تيدنا» Thédenat أن الشرط الأول للزواج - حتى لا يكون حراماً- أن لا يسبق أن رأى أحد العروسين الآخر، وبعد هذا يتفق الشاب مع الشخص الذي سيصبح صهراً على المهر الذي سيدفعه مقابل تزويجه لابنته، وبعد الاتفاق الذي يكون حسب إمكانياتهم يذهبون مع بعض الأصدقاء إلى القاضي وتقرأ الفاتحة، ثم يتفقون على موعد العرس[2] .

- السن المبكر للزواج عند الجزائريين: يذكر الفرنسي «بوتان» Boutin، أن الذكور في الجزائر في تلك الفترة يتزوجون اِبتداءاً من سن الـ14، والبنات في سن العاشرة.
كما يرى أن الزواج لدى الجزائريين هو مجرد صفقة تجارية بين والد الفتاة والشاب الذي يريد الزواج منها، وعند تحديد الثمن يتوجه الشاب إلى خيمة صهره ومعه مستلزمات العرس، والفتاة تحضر نفسها لاستقبال زوجها. وعندما يكون واقفاً على عتبة الخيمة تطلب منه الفتاة مهرها، ويرد بحكمة: «المرأة الصالحة يكون مهرها يسير» [3] .

- طريقة تقديم المهر وقيمته: يذكر «شلوصر» أن الشاب إذا أراد الزواج فإنه لا يستطيع أبداً أن يقيم علاقة شخصية مع فتاة، فحين يسمع أن لرجل ما فتاة في سن الزواج، يرسل يهودية إلى بيتها فإذا كانت تريده فإنه يتوجه إلى أبيها، ويتفقان على المهر ويتراوح عادةً بين 75 و100 ريال ويقدم للفتاة عن طريق أبيها، وتشتري العروس بالثمن لباساً وأثاثاً [4].

---

[1]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص ص 116 – 117.
[2]- احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 89.
[3]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 135.
[4]- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص 86 – 87.

- طريقة الزفاف وأجواء العرس: فبعد أن يعود الرجال من عند المفتي، يمضون بمجرد غروب الشمس، تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة إلى منزل العروس، فتتبعهم هذه في لباس فخم، ولكنها محجبة كالعادة برداء حريري أبيض إلى بيت العريس. أما العرائس من الطبقة الراقية فيقطعن المسافة على ظهور البغال فيما يشبه القفص، يحجبهن عن الرجال[1] .

من عادات وتقاليد الزواج: عدم الاختلاط، فقد كان الرجال يجلسون في منزل مستقل عن النساء اللائي لا يتركن العروس وحدها مع إطلاق الزغاريد حتى يأتي العريس.

وعن طقوس ليلة الدخلة، فيذكر «تيدنا» Thédenat أن العريس يدخل إلى منزل عروسه فيجدها وحيدة جالسة مزينة، يغطي وجهها منديل من الحرير، وبعد إتمام الزواج، يأتي الأب ويخرج العريس ليعود إلى المدعوين، ويأخذ قميص ابنته فيريه لكل ضيوفه، ليبرهن للجميع على عفاف ابنته. بعد أن ينتهي العرس يأخذ الزوج زوجته إلى بيته، حيث أن العرس يتم في بيت والد الفتاة لكن على حساب الصهر[2] .

أما عن موكب العرس والتقاليد المتبعة في ذلك، فيتم ركوب العروس فوق حصان وتتبعها جميع الفتيات بعلامات الفرح والسرور، لتأخذ مباشرة إلى بيت زوجها أين تنتظرها نساء من أقارب وصديقات، وعند وصولها يقدمن لها الزبدة والتي يجب عليها أن تضعها على خشبة أمام المنزل، وهذا حسب اعتقادهن أنه يتمم التمنيات للعروسين، كما أن عند نزول العروس من الحصان تعطى لها خشبة تغرسها في الأرض كرمز يدل أن المرأة لن تترك زوجها [3] .

- وليمة الزواج: حسب الرحالة الألماني «فاغنر» Wagner، يحيط ببيت المتزوجين الجدد دائماً جمع غفير من الناس، ويدخل إلى الفناء عدد منهم زيادة على المدعوين، ويتربعون فوق الأرض ويدخنون ويشربون القهوة ثم تقدم لهم قصعة كبيرة من الطعام فيلتفت حولها الضيوف كلهم، ويأكلون بملاعق خشبية، وبعد الطعام تقدم الأكلة الرئيسية، وهي الخروف المشوي الذي يقطع ويوزع على الحاضرين، ثم تقدم لهم الفواكه المختلفة خاصة البطيخ والتمر والبرتقال، وفي النهاية تقدم القهوة، أثناء مشاهدة العروض الفنية إلى غاية الصباح [4].

---

[1]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 71.

[2]- احميده عميراوي، المرجع نفسه، ص 90 .

[3]- Pierre DAN, Op.cit, p 294.

[4]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 72 .

وفي الغد، تحضر في المنزل حلوى تدعى «سفنج» وتوزع لكل الأهل والأصدقاء. يذهب العريس في ذلك الصباح إلى الحمام. أما العروس فلا يباح لها الخروج، وعليها بالبقاء سبعة أيام في منزل زوجها ولا تذهب إلى الحمام أو إلى مكان آخر.

- الزواج بالأسيرات المسيحيات: عند الزواج من مسيحية أسيرة تم افتدائها وشراءها فإن الأمور تختلف، ويتم المرور عبر القاضي لتعلن الفتاة إسلامها وتنطق بالشهادة، وتدفع لها قيمة مهرها كغيرها من النساء المسلمات[1]، ويروي حول هذا الموضوع المبعوث الفرنسي إلى الجزائر وأقاليم الدولة العثمانية Chevalier D'Arvieux[2] قصة عن زواج شاب جزائري وقع أسيراً لدى الاسبان من فتاة مسيحية اسبانية.. عاش في اسبانيا وتعلم اللغة الاسبانية، وصار قائداً عسكرياً، فقد كان على قدر من الذكاء والشجاعة. لمح ذات مرة ابنة وزير الملك فأعجب بها وتزوجها، والتي لعبت دوراً مهماً في إنقاذه أكثر من مرة عند وقوعه في الأسر.. لكن تدهورت العلاقة بين الزوجان عند مجيئهما إلى الجزائر بسبب رفض الفتاة المسيحية اعتناق الإسلام، ما أدى إلى سجنها وتعذيبها إلى أن توفيت [3] .

ب- الطلاق:

كما أفادتنا الكتابات الغربية بمعلومات حول انتشار ظاهرة الطلاق في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فالطلاق ظاهرة مألوفة جداً، والأسباب التي تؤدي إلى وقوعه من جانب المرأة هو السلوك غير اللائق للرجل، ومن جانب الرجل هي المعاملات السيئة للمرأة تجاه زوجها، الضعف وقلة الحياء، عدم قيامها للصلاة وغيرها من السلوكيات السيئة [4].

وأخبرنا «وولف» John Wolf حسب ما روى أحدهم أن رباط الزوجية يمكن حله بسهولة إذا قرر الزوج أو الزوجة أن لم يعد رباطاً مفيداً. فالرجل يمكنه بسهولة التخلص من اِمرأة سيئة، وهناك من يروي ببساطة أنه لم تعد هناك محبة بين الزوج وزوجته [5] .

---

[1]- Diego DE HAEDO, Op.cit, p 133.

[2]-هو ديبلوماسي وتاجر مارسيلي شغوف بالاستشراق العلمي. اسمه الحقيقي Laurent D'Arvieux هو من مواليد سنة 1635م بمرسيليا. كشفت مذكراته المتكونة من 7 مجلدات عن ثقافة الأتراك والعرب في المشرق والجزائر وأقاليم الدولة العثمانية خلال القرن 18م. توفي سنة 1702م بمرسيليا.

[3]- Chevalier D'ARVIEUX, Mémoires du Chevalier D'Arvieux envoyé extraordinaire du roi à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et d'autres échelles du Levant, Tome 6, par le R.P. Jean-Baptiste Labat, Paris, 1736, pp 470 - 471.

[4]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 70 .

[5]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 170 .

كما أن للمرأة حق في طلب الطلاق، فيجب على الزوج أن يعتني بزوجته وأن يحترمها وأن لا يقصر من واجباته نحوها وإذا قصر في ذلك يكون باستطاعة المرأة أن تذهب إلى القاضي وتفسخ ذلك الارتباط. وقد كان هذا شائعاً ويرى «تيدنا» Thédenat في مذكراته أن هذا سيئاً خاصة إذا كان بين الزوجين أطفال، فمن عواقب ذلك في هذه الحالة أن يأخذ الأب الذكور من أبنائه وتأخذ الأم البنات وينفصلان للأبد[1]... إلا أن أغلب الزوجين تكون العلاقة بينهما قائمة على مبادئ الاحترام والمودة ما يجعل الزواج مستمراً .

2 – المرأة ومكانتها في المجتمع :

تحدث أغلب الكتاب الغربيين عن النساء في إيالة الجزائر، منهم من كانوا أسرى يؤكدون لنا أنهم يعرفون عن كثب الموضوع الذي يصفونه، أما الآخرون فيبدو أنهم يكررون أساطير مبتذلة أو خيالية. ويبدو أن أكثرهم كان يصف انطباعات تبدو للناظر أنها كانت انطباعات خارجية فقط [2]. وكما هو معروف فإنه من الصعب تكوين فكرة عن المجتمع النسائي في البلدان الإسلامية، فالنصوص التي تخص هذه الفترة قد تكون نادرة [3] .

- حرية المرأة الجزائرية: تتمتع المرأة بحرية كبيرة جداً داخل أسرتها، وهي غالباً ما تمارس صلاحيات كبيرة، وفيما يخص الزيارات العديدة المتبادلة بين النساء فإنه لا يوجد زوج يمنع زوجته من هذه الزيارات.

- عفة المرأة الجزائرية وحجابها: فبالرغم من كون نساء الجزائر متحررات إلا أنهن عندما يخرجن يلبسن الحجاب، كما يتحجبن عن عيون زوار أزواجهن، ولا يدخل إلى البيت لا الأتراك ولا المغاربة ولا حتى الأعلاج إلا بعد أن يذكروا عبارة « استعدوا، اجعلوا الطريق فارغاً »، وبسماع هذه العبارة تجري النساء فوراً للاختباء في غرفهن [4] .

قام الرحالة الألماني «فيلهلم شيمبر» Wilhelm Schimber الذي زار الجزائر سنة 1831م بتصوير وإعطاء صورة صادقة وحقيقية عن واقع المرأة الجزائرية، فقد تعرف على عاداتها، فقال بأنها تستقبل زوجها عند عودته أحسن استقبال وتحدثه، كما أرسل جارة له

[1]- احميده عميراوي ، المرجع السابق ، ص ص 90 – 91 .
[2]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 169 .
[3]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 68 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 69 .

وهي عجوز اسبانية إلى بيت هذه الأسرة فكتبت له تقريراً أوضحت فيه أن المرأة قبل فتحها الباب تقول: «اشكون»، وردت هي: «مرا»، ولما فتحت لها الباب استقبلتها قائلة: «صباح الخير، واش حالك».. بعد هذا إلى القول: «أن المرأة تعيش كالسجينة تقريباً، وليس مرد ذلك إلى زوجها، وإنما مرده إلى العادة المتبعة » [1] .

كما أخبرتنا المصادر الغربية عن زينة المرأة الجزائرية ونوع لباسها، ويذكر أحد الفرنسيين أن النساء يتحجبن في الشوارع، وصحيح أنهن كمثل حفيداتهن اليوم، كن يصبغن شعورهن بالحناء ويكحلن عيونهن ويضعن المساحيق على خدودهن، والفقيرات منهن يلبسن ثياباً باليةً، بينما الغنيات منهن يرتدين الألبسة والأقمشة الفخمة [2] .

وقد أشارت هذه الكتابات إلى مهام وأعمال المرأة في المنزل، فيذكر «فونتور دي بارادي» Venture De Paradis بأن المرأة تكون مشغولة طوال اليوم مع طحن الدقيق والشعير، كما أنها تذهب لجلب الماء والحطب للاستنارة بالنار ليلاً [3].
ويفصل «هايدو» Haedo في سرد الأعمال المنزلية التي تقع على عاتق النساء من تربية الأبناء، غسل الملابس مرة في الأسبوع، الطبخ وتحضير الخبز (وهذا في البيوت التي لا تملك عبيد يقومون بذلك) وأيضاً الخياطة، الطرز، النسيج... بعد انتهائهن من هذه الأعمال يمضين وقتهن في الاستراحة والأكل والنوم، إلا أن أوقات فراغهن تمضى في الاستحمام في المنزل أو الحمامات (مرتين في الأسبوع بعد الثانية عشر زوالاً تفادياً للالتقاء بالرجال) [4] .

كما يضيف إلى جانب تبادل النساء للزيارات بينهن من بيت إلى آخر، فإنهن يقصدن البساتين القريبة في كل فترات السنة وخاصة في موسم الفواكه، وعند التقائهن في هذه الأماكن يرقصن على صوت الآلات الموسيقية، ويتناولن مختلف الأطعمة والفواكه، مع حرصهن على الاختباء من أنظار الرجال الذين لا يقتربون أساساً من هذه الأماكن.. وبعد انتهاء يومهن يتجهن قبل المساء إلى بيوتهن. كما أن منهن من تذهب إلى زيارة أضرحة الأولياء الصالحين والمرابطين رفقة أبنائهن[5] .

[1]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 12 .
[2]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 170 .
[3]- DE PARADIS, op.cit, p 131.
[4]- HAEDO , op.cit, p 146.
[5]- IBID, p 147 .

والمرأة الجزائرية تؤدي صلواتها في البيت، وهذا ذكره الأب «بيار دان» Pierre Dan في كتابه «تاريخ بلاد البربر» فالنساء لا يقربن المساجد ولا يدخلنها نظراً لقداسة الأحكام الدينية حول ذلك وخوفاً للتأثير في نفوس الرجال ، ويؤدين صلواتهن بمنازلهن [1] .

كما أشار إلى العادات الاجتماعية للمرأة عند الخروج مع تصوير نوع لباسها بدقة... فأثناء خروج النساء إلى المدينة يرتدين سروالاً عريضاً فوقه إزار أبيض يدعى الحايك ويغطي كامل جسدهن مع وضع قطعة قماش وربطها على الوجه أسفل العينين، مع أحذية مطرزة، وعند زيارة أحد الصديقات أو القريبات فيخلعن الحذاء على حافة الباب، وهذا ليعلم سيد البيت عند عودته بوجود امرأة أجنبية في المنزل فينتظر خروجها [2] .

- انتشار ظاهرة بغاء وانحراف المرأة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني:

وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر الغربية، وهذه حقيقة موجودة في كل المجتمعات حتى وإن كانت محافظة. فلا بد أن نقف على حال المرأة الباغية في المجتمع الجزائري، التي لا يمكن بأي حال أن نبعد الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاهرة التي دفعنها للخروج من أجل طلب الاسترزاق وإن كان ذلك بطريقة غير شرعية، وارتكاب مثل هذه الخطيئة [3] .

فالنساء اللواتي يمكن أن يراهن الرجال علانيةً هن الراقصات اللواتي يوضعن تحت سلطة المزوار، فقد كان البغاء موجوداً في الجزائر بإشراف المزوار الذي يجني ثمرات جمة ويدفع للحكومة أجرة هائلة تخوله التصرف المطلق في كل النساء اللواتي يقذف بهن البؤس أو نزعة الشر إلى هذه الحالة من الذل. وهذا ما قاله «ليسور ويلد» Lessor Wild حرفياً :

«*... Les seules femmes que les hommes puissent voir en public sont les danseuses. La prostitution a existé de tous les temps à Alger, le mézoar a la surveillance et retire les hauts profits de ce monstrueux commerce ... il dispose à la volonté des femmes jetées par la misère ou par le vice dans cet état de dégradation* » . [4]

---

[1]- Pierre DAN, op.cit, p 268.

[2]- IBID , p 281 .

[3]- ليلى خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني -دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2013/2012، ص 102.

[4]- ليسور ويلد ، المرجع السابق ، ص 66 .

- عقاب المرأة الزانية (الخائنة لزوجها): إذا تم التأكد من مشاهدتها مع رجل مسلم مرة أو مرتين، وفي المرة الثالثة تعاقب المذنبة برميها في البحر، بعد ربط حجر في عنقها، وإذا كانت تخون زوجها مع رجل مسيحي في المرة الأولى تجلد المرأة أمام الناس، وفي المرة الثانية يقومون برميها في البحر، وشريكها في الجريمة فله أن يختار بين إسلامه أو يحرق [1].

وقد أدى التقليد التركي والاحترام لمنطوق قانون الإسلام الحرفي إلى تعليق الأهلية القصوى على سلامة العذراء، وقد كتب القنصل الأمريكي «بارلو» في رسالته إلى زوجته سنة 1796م: «المرأة إذا ارتكبت الزنا فإن القانون يدينها فتوضع في كيس ومعها به حجر لترمى في البحر وأحياناً يطلب الزوج فيسمح له بتنفيذ هذا الإجراء القانوني بيده» [2].

- وفاء المرأة الجزائرية وشجاعتها: وهذا مما لا شك فيه، حيث تم تجسيدها في هذه الصورة، وهو ما ذكره الأسير«سيمون بفايفر» Simon Pfeiffer حيث يستحضر إحدى القصص التي توحي بوفاء المرأة الجزائرية لزوجها وعدم تخليها عنه في أصعب الظروف، عندما لحقت المرأة بزوجها إلى ساحة المعركة الذي لما أصابته رصاصة العدو القاتلة ساعدته وأبعدته عن الضجة، ثم أصيبت هي نفسها برصاصة في ظهرها. تنقل هذه القصة التي يسردها «بفايفر» صورة إيجابية عن شجاعة المرأة الجزائرية ووفاءها لزوجها [3] .

وعن حرمة المرأة الجزائرية يقول «هابنسترايت» Habenstreit: «كانت النساء غائبات عن الحياة العامة، مع احتشامهن الشديد، فلا يسرن في الأزقة بدون حجاب، وحتى منازلهن تكاد أشعة الشمس لا تصل إليها، وعندما يسافرن على ظهور البغال يكن مختبئات في ستائر غريبة، وقد ترجاه أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميزة كي يعالج زوجته، وعندما طلب منه أن يرى المريضة أجابه من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد» [4] .

نستنتج أن الزواج في المجتمع الجزائري كان له شأن هام ويتم وفق قواعد ومبادئ خاصة، رغم وجود ظاهرة الطلاق، إلا أن الزواج القائم على الآداب والاحترام المتبادل بين الزوجين يكون مستمراً، أما عن المرأة فقد حظيت بمكانة خاصة وهو ما أكدته كتابات الغربيين التي أعطت صورة واضحة عن واقع النساء بالجزائر خلال العهد العثماني.

[1]- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 71.
[2]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 119.
[3]- شفيق بوطرفة ، المرجع السابق، ص 83.
[4]- هابنسترايت، المصدر السابق، ص 47 .

المبحث الثاني : الجانب الأخلاقي للسكان وارتباطهم بالمرافق العامة

لقد سعى الكثير من الكتاب والمؤلفين الغربيين إلى الحديث عن صفات وأخلاق وطبائع الجزائريين وسلوكاتهم خلال العهد العثماني، وكذلك عن علاقتهم وارتباطهم بالمرافق العامة.

1 – أخلاق المجتمع الجزائري :

ذكر الراهب الاسباني «هايدو» Haedo في كتابه « طبوغرافية وتاريخ الجزائر العام» بعض الأخلاق والخصال الحسنة التي لاحظها في المجتمع الجزائري، ومن هذه الصفات التي يقول عنها مختلفة عند المسيحيين هي حب الجزائريين لذكر الله عند حدوث أية مصيبة لهم عكس من يسب الذات الإلاهية في مثل تلك المواضع حيث لا يوجد لديهم كلمات في لغتهم العربية تسب بها الرب.. العكس، بل عند غضبهم ينطقون بالشهادة أو البسملة، والحلف يكون بالله « والله » [1] .

كما يضيف أنهم لا يلعبون الورق أو النرد، فيرون أن الأمر حرام ولا يجوز. كما أنهم لا يتشاجرون فيما بينهم بالسكاكين، ولا يتقاتلون لأن مثل هذه الأمور غير مشرفة بالنسبة لهم، بل يتشاجرون باللكم وبعد مدة قصيرة يصبحون أصدقاء من جديد ويتصالحون ويتصافحون، كما أنهم يتميزون بالطاعة والولاء والخضوع لحكامهم وقضاتهم، فعند تلقيهم الأوامر يرتعشون مع إنزال الرأس، من سيماتهم أيضاً الصبر، ففي حالة الحرب يظلون جائعين لمدة طويلة، ويتعاملون فيما بينهم معاملة إنسانية في العمل أو في مختلف الأماكن [2] .

لكن –من جهة أخرى- أطلق «هايدو» Haedo هذا عدة اتهامات بحق أخلاق الجزائريين، فذكر أن فيهم صفة الكلام في أعراض الغير، وأن الأهالي وأتراك الجزائر يحبون الاستهزاء بالناس خاصة بالمسيحيين واعتبارهم أسرى عندهم، إضافة إلى وصفهم بالجبناء [3]، وصفة مذمومة أخرى نعت بها الجزائريين وهي النفاق، خاصة لدى الأشراف والمرابطين مع استغلالهم للناس من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة والاختباء وراء الألبسة الدينية الفخمة.. كما أضاف أن الأبناء لا يطيعون آبائهم ولا يحسنون إليهم عند الكبر، فيصبح الولد لا يحترم أباه خاصة حين يأمره بعمل ما، وكذلك البخل التي قال عنه أنه ميزة خاصة

[1]- Diego DE HAEDO , op.cit , p 196 .
[2]- IBID , p 197 .
[3]- IBID , p 182 .

في طبع الجزائريين، مع حبهم للمال وصولاً إلى حد الشر، فلا يأكلون ولا يشربون.. وخيانة الأمانة والتخطيط من وراء الغير، قسوة القلب، الغلظة، شدة الغضب، حب الأكل والكسل[1] .

وأضاف أن أهل هذا البلد يحبون ممارسة الزنا والعلاقات غير الشرعية، وذلك بسبب وجود النساء الفاجرات في الجزائر، كما أنه وجه تهمة خطيرة لرجال الجزائر ووصفهم بحبهم لممارسة فاحشة اللواط وجريهم وراء الأطفال، ليذهب ويقول أن الكثير من الرجال والشيوخ يعزفون عن الزواج بالنساء وليس لديهم ميول نحوهن، بل ميولهم يكون فقط تجاه الغلمان، وأن اللواط يمارس بكثرة في مدينة الجزائر مقابل الأموال أو ما شابه ذلك [2] .

وللرد حول هذه التهم التي أطلقها «هايدو» Haedo لتشويه المجتمع الجزائري بها، يكفي الرجوع إلى كتابات الغربيين والأوروبيين الذين عاشوا بالجزائر في فترات مختلفة من العهد العثماني واحتكوا بسكانها واكتشفوا أخلاقهم.

نبدأ أولاً مع «وليام شالر» William Shaler الذي صرح بأن سكان هذا البلد قد اتهموا منذ القدم بعدم الاستقرار والخداع، وأضاف أن هؤلاء السكان أبعد ما يكونون عن البربرية فإن في سلوكهم لياقة ومجاملة، كما وجدهم مهذبين ومتمدنين وإنسانيين في المعاملات اليومية وأنه لم يكتشف فيهم حتى أعراض التعصب الديني أو الكره للأشخاص الذين لا يدينون بدين آخر غير دينهم، فهم يدينون بالإسلام مع الإخلاص في أداء تعاليمه بدون مباهاة أو تصنع، ويقول: « إنني أعرف جيداً أن هذه الصورة التي أرسمها للجزائريين لا تتفق مع الصور التي رسمها لهم كتاب آخرون، وأنها تناقض الرأي العام الشائع عنهم في أمريكا وأوروبا، ولكن هذه الآراء تختلف كثيراً عن الحقيقة التي شاهدتها بنفسي» [3] .

لقد كانت الممارسة الاجتماعية للدين عميقة في إيالة الجزائر، والإسلام يمتد على كل مظهر في حياة الجزائريين وقد لاحظ William Davis[4] أن الأتراك شديدو التعلق بتدينهم، ما أدى إلى تعاظم العادات الدينية المأثورة لديهم، مع ارتيادهم على الصلوات في المساجد [5] .

---

[1]- Diego DE HAEDO, pp 184 – 185 .
[2]- IBID , pp 190 – 191 .
[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 80 .
[4]- جغرافي أمريكي ولد سنة 1850 ببنسلفانيا، تخرج من جامعة هارفارد. برع في الجغرافيا والتاريخ وعلوم أخرى.
[5]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 125 .

كما يشيد الأسير الفرنسي «تيدنا» Thédenat في مذكراته بشدة تدين المجتمع الجزائري، فذكر جلوس الرجال في المقاهي وتبادلهم أطراف الحديث وهم يدخنون الغليون، وإذا أذن المؤذن للصلاة يقفون ويؤدون صلاتهم متوجهين نحو مشرق الشمس، هذا حينما يكونون متوضئين إذ كان لا بد من غسل أرجلهم وأيديهم ووجوههم قبل التوجه إلى الصلاة [1] .

وبالحديث عن التدخين في المجتمع الجزائري فقد أشارت إليه عدة مصادر أوروبية مثل الأسير النرويجي «نيلز نيلسون موس» Niels Nilson Moss الذي يقول: «المور الأتراك (يقصد الجزائريين) نشاهدهم يدخنون تحت بنادقهم مساء كل يوم خميس، وعلاوة على ذلك كانوا يعتنون جيدا بأذقانهم وفي النهاية يؤدون الصلاة عدة مرات في اليوم » [2] .

ويرى «فيلهلم شيمبر» Wilhelm Schimber[3] أن الشعب الجزائري لا يختلف عن غيره من الشعوب من حيث أخلاقه وطبائعه، فالخير والشر يجتمعان فيه جنباً إلى جنب مثلما هو الحال في أي مكان آخر، ويكرر أنه يفضلهم على الأوروبيين، لأنهم أكثر تديناً وثقافة منهم، فهم على الأقل يستطيعون القراءة والكتابة ويحبون النظام والنظافة ويمارسون أعمالهم بجد ونشاط وبانتظام، ولا يبدون أي تعصب[4]، عكس الفرنسي «تيدنا» Thédenat الذي وصف الجزائريين بالأميين لانبهارهم بمكتبته الصغيرة المتنقلة، وبأنهم شعب جاهل، وقال بأنه لا يوجد أكثر من مئة شخص يحسنون القراءة في معسكر، وهذا الجهل يعطي احتراماً بسيطاً لكل من يعرف ولو حرفاً واحداً من القرآن.. فيبدو أنه يبالغ كثيراً، كما أنه تحدث عن البساطة التي يعيشها الجزائري بنوع من التهكم والسخرية، فمن الطبيعي أن يتحدث أسير فرنسي عن طبائع الجزائري بهذه الطريقة، فظروف المعيشة في الجزائر تختلف كثيراً عن أوروبا [5] .

أما الفرنسي «بوتان» Boutin فقد وصف الجزائريين بالكسلاء وأنهم يمضون أوقاتاً كثيرة في اللعب والتدخين، وهم مهذبون فيما بينهم ويتبادلون عبارات المجاملة والكلام الحسن، وإحساسهم بالفخر تجاه الأجانب، فسكان الجزائر يعرفون بالشخصية القوية والطبع الحاد[6]. إلا أن الأهالي فيما بينهم يتبادلون الهدايا، أو يقومون بدعوة بعضهم البعض إلى مأدبة عشاء

[1]- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 92 .
[2]- نيلز نيلسون موس ، المرجع السابق ، ص 126 .
[3]- هو رحالة ألماني زار الجزائر سنة 1831م وأقام بها قرابة عام، ليصدر كتابه "رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر".
[4]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 17 .
[5]- شفيق بوطرفة ، المرجع السابق ، ص 92 .
[6]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 136 .

وهذا من اِحترامهم الكبير والمتبادل بينهم، وعند ذهابهم إلى شخص من معارفهم يبلغونه بمجيئهم عن طريق عبد، ويستقبلهم صاحب الدعوة بلياقة ويمنح لهم الغليون والقهوة، وتُعلَم النساء بذلك كي تختبئ عن أنظار الرجال. فالشخص الذي يدخل منزل غيره دون أن يعلم صاحب البيت بذلك يعتبر سارق ويعاقب على ذلك [1] .

وعن أخلاق الانكشاريين الأتراك، يقول «جون وولف» John Wolf أن من المتوقع أن قوماً غير متزوجين يعيشون في جماعة، ومفصولين عن النساء قد يمارسون بعض الانحراف الجنسي. لقد كانوا متهمين بالاحتفاظ خفية بخليلات وبالتردد على المعاهر، وفوق ذلك بممارسة الشذوذ الجنسي. ولكن بعض الكتاب فندوا ذلك وتأثروا بسلوكهم الجيد، لأننا نعرف أن معظمهم عاشوا في نفس الوقت عيشة خطرة وبسيطة وماتوا بدون ثروة كبيرة، وإن منهم الكرماء واللطفاء والجديرين بالاعتبار [2] .

وبالحديث عن جريمة الزنا والشذوذ الجنسي التي ذكرها «هايدو» Haedo وغيره من الغربيين، فمعظم الملاحظين من «هايدو» Haedo إلى «دي بارادي» De Paradis امتدحوا القضاة الذين يحكمون في القضايا المدنية، وكانت الشريعة الإسلامية هي دليلهم في ذلك، وكان الشرع يطبق بسرعة وإنصاف وبتكاليف قليلة، فقد كان القانون الجنائي قاسياً، ذلك أن مائة جلدة أو أكثر على قدم الإنسان تؤدي به إلى الموت أو إلى فقد القدم. ومن الأمور الشائعة الحكم بالحرق حياً وقطع الرأس والخنق. فصرامة هذه الأحكام أدت لا محالة إلى قلة هذه الجرائم أو غيرها خوفاً من تنفيذ تلك العقوبات [3] .

كما أنه ظهرت في المجتمع عادة سيئة تمثلت في شرب الخمر والإقبال على الحانات، توجد الكثير من الحانات بمدينة الجزائر بين 27 و30 حانة، بما في ذلك الحانات الموجودة في السجن، ويديرها مسيحيون يدفعون للدولة رسوماً كبيرة، ويستخدمون ما بين 50 و90 من العبيد. وقد كان عدد الزبائن كبير جداً ممن يقصدون هذه الأماكن لتناول الخمور سواء بمدينة الجزائر أو غيرها من المدن [4] .

---

[1]- Vincent Yves BOUTIN, Op.cit, p 137 .

[2]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 162 .

[3]- المرجع نفسه ، ص ص 172 – 173 .

[4]- كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 101 .

وبينما المفروض في المسلمين الحقيقيين عدم شربهم للمواد الكحولية، فإن عدداً منهم كان يشربها، وحسب «جون وولف» John Wolf فلديه أخبار تقول أن عدداً هاماً من الأعلاج، الذين لم يكن إيمانهم الديني كاملاً، كانوا يظلون أحلاس الخمارات من بعد الظهر إلى ساعة متأخرة من المساء، ومن المحتم حدوث المنازعات والمشاجرات الشخصية عندما يصب الخمر بحرية، وكان مالك الخمارة مسؤولاً على السلام والإبقاء على النظام الكامل [1] .

ويرى «هابنسترايت» Habenstreit امتناع الجزائريين المسلمين الأتقياء عن شرب الخمور، أما الآخرون فيتعاطونه حتى يبلغ بهم السكر إلى حد الهياج، وفي هذه الحالة يصل بهم الاندفاع إلى حد ارتكاب اكبر التجاوزات التي تتسبب في قتلهم في بعض الأحيان، وهذا يحدث غالباً في أيام العيد، فبعد أن يمتنعوا عن شرب الخمر طيلة شهر رمضان، يعودون إلى شربه مع حلول العيد، فيقبلون على تعاطي الخمر وإن كانوا لا يجرؤون على تناوله جهاراً [2].

وفي هذا الصدد تقول «شوفالييه» Chevalier: « إنه لشيء عجيب، يوجد أيضاً حانات وخمارات في الجزائر، ويمنع على المسلمين بيع الخمر أو ماء الحياة، لكن الجنود الأتراك يشربون كل شيء وبكميات كبيرة»، وتضيف: « ولم أر في حياتي أبداً أكثر إدماناً على الخمر منهم حتى من الألمان... وتبقى هذه الخمارات مفتوحة طوال الليل وأصبحت مكاناً عاماً يلتقي فيه خليط من القراصنة والجنود الانكشاريين والعبيد ». فلم يتم ذكر الجزائريين[3] .

بينما يشيد الألماني «فيلهلم شيمبر» Wilhelm Schimber بالأخلاق الحسنة للجزائريين عندما قدم دليلاً عملياً على عدم تعصبهم فيقول أنهم أعاروه ثيابهم وأدخلوه مساجدهم والتقوا حوله ليسلموا عليه ويسألوه عن أحواله، ولكنهم لا يرضون بالتعدي على حرماتهم وتقاليدهم الدينية. ويضيف حقاً أن معاشرتهم لا تخلو في البداية من برود، إلا أن الإنسان سرعان ما يكتشف طبيعتهم ولطفهم وأخلاقهم النبيلة وفضائلهم الحميدة [4] .

ويؤكد الرحالة الألماني «هاينريش فون مالتسان» Heinrich Von Maltzan أحد أهم الذين نظروا إلى واقع المجتمع الجزائري بنوع من الدقة والحياد، فقد أورد في عدة متون

[1]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 232 .
[2]- هابنسترايت ،المصدر السابق ، ص 48 .
[3]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 79 .
[4]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 17 .

مدى ارتباط أخلاق الجزائري بالإسلام وتعاليمه، دون أن يقدم تنازلات من أجل الاستفادة من إغراءات الآخر وتحت أي ظرف كان، وله من السمات القاعدية التي تميزه عن الأجنبي الذي يعد بالنسبة له إنساناً متخلفاً ومعتدياً على الأخلاق العامة والممارسات والشعائر[1].

كما تحدث «شيمبر» Schimber عن شجاعة الجزائريين في الحروب ومهارتهم في استعمال الأسلحة، وحرصهم على الدفاع عن أنفسهم في حالة المخاطر، كما تحدث عن أخلاق فئة العرب وحسن استقبالهم له، والتفافهم حوله، كما أثنى على كرمهم ثناءاً كبيراً، وكانوا في كل مرة يساعدونه في جمع ما يريد جمعه. كما مدح القبائل وأخلاقهم النبيلة وما لهم من جد ونشاط، و يشيد بعنادهم وشجاعتهم في الحروب [2].

في الأخير، لا بد من القول بأن كتابات الرحالة والأسرى والمؤرخين الغربيين ساهمت في تجسيد أخلاق الجزائريين وصفاتهم في صور مترنحة بين الواقع والخيال، فهناك كتابات قامت على الكذب وتشويه أخلاق المجتمع الجزائري خدمة لمصالحها، إلا أن هناك كتابات أثنت وأشادت بطيبة وحسن أخلاق الجزائريين مع تكذيب أصحاب الآراء المسيئة لهم.

2 – المرافق العامة وعلاقة السكان بها:

أ – المقاهي :

هي مكان الاجتماع الذي يرد إليه الأهالي من كل الطبقات ومختلف المراتب ثلاث أو أربع مرات في اليوم ليرتشفوا القهوة ويدخنوا الغليون، ويلعبوا الضامة، ويقضوا أوقات الترفيه والاسترخاء في سماع الموسيقى، في المقهى يعتبر كل الناس إخوة يجلسون على نفس الحصير، أو على نفس البساط وهم ينصتون في إعجاب شديد لأغاني الموسيقار الذي يروي لهم من حين لآخر قصة عربية ونكتاً تبتسم لسماعها شفاه الحاضرين [3] .

ويقول «وليام شالر» William Shaler بأن المقهى وسيلة تسلية بالنسبة للرجال أو للشعب الذي لا يملك فناً ولا أدباً ولا يجد أمامه كثيراً من اللهو أو التسلية، فتوجد هذه المقاهي

[1]- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 21.
[2]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 18.
[3]- ليسور ويلد، المرجع السابق، ص 22.

التي توفر وسيلة لتزجية الوقت والخروج من الحياة الرتيبة التي يعيشها الناس، ويضيف أن القهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمر ولا يشرب سوى الماء [1].

وينصح العالم والرحالة الألماني «موريتس فاغنر» Wagner المسافرين بزيارة المقاهي العربية التي يزيد عددها في القسم الأعلى من المدينة فقط عن الستين، ويعتبر المقاهي من الأماكن التي تتيح للأجنبي أن يتعرف على الشعب، و يتعلم لغته، بل لا يوجد بالنسبة له مكان يتعلم فيه التعابير الشعبية مثلما يتعلمها في المقاهي، ويشير إلى أن الأهالي لا يتحدثون فيها كثيراً [2]، وتقدم القهوة في فناجين مصنوعة من الخزف فوق صحون من الصفيح، ويوضع فيها مسحوق السكر، ويقدم للمرء معها غليون أحمر ذو قصبة طويلة، وتبغ من النوع الممتاز، وثمن ذلك كله سنتيم واحد، ولا يتصور المرء أن هناك متعة أقل ثمناً من هذه [3] .

وحسب «ألبير ديفولكس» Albert Devoulx، المقاهي أماكن عامة يرتادها الناس لشرب القهوة، وهي عبارة عن قاعات بها مقاعد للجلوس، وفيها فرن يقوم بجانبه القهوجي بإعداد القهوة على مرأى الزبائن، وكان هناك مقهيان على الشارع المؤدي إلى باب الجهاد [4].

وتقع أكثر المقاهي العربية رواداً في شارع الديوان قرب الكنيسة الكاثوليكية، ويتردد عليها الكثير من الأوروبيين، فالقهوة فيها ممتازة، والمجلس شيق، والجوقة كبيرة، والحفلات التي تقام في مقهى القسم الأعلى من المدينة أكثر أصالة وصخباً، خاصة ما يقع منها قرب القصبة، فهناك يقع المقهى اليوناني ويدعى صاحبه « سبيزيوطه»، فترى الأهالي وكثيراً ما يختلط بهم الأوروبيون، يصخبون فيه ويصرخون مع الموسيقى، دون فارق ديني أو عنصري، فيجتمع المسلم والمسيحي واليهودي والأوروبي والإفريقي في هذه الأماكن [5] .

ب – الحمامات :

ومن الواضح أن هذه الحمامات كانت منحدرة من تلك التي خدمت الرومان منذ قرون خلت، و أكثر هذه الحمامات فخمة لها غرف بخارية، وفيها الماء البارد والساخن، وخدم من

[1]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 88 .
[2]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 63 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 64 .
[4]- بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش ، تاريخ و عمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس ، موفم للنشر ، الجزائر ،2007 ، ص 229 .
[5]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص ص 65 – 66 .

الزنوج وهم مهرة في التدليك، بالإضافة إلى تقديم القهوة والشربات من قبل الوصيفات، وهناك ساعات خاصة بالنساء يكون فيها الحمام تحت إدارة النساء، كما بإمكان اليهود والنصارى والأرقاء إدارة الحمامات [1] .

كان للحمامات في مدينة الجزائر أغراض اجتماعية هامة زيادة على عملها التنظيفي، وقد كان الحمام هو المكان الذي يتنظف فيه الجزائريون دينياً وصحياً، ففيه يلتقي الرجال والنساء الحضر كل في قسمه المنفصل أو حجراته، وفيه يتفق على الزواج أو مبادرته الأولى، وتحمل الأعمال التجارية إلى مرحلة الاتفاق، وفيه تحكى الحوادث العائلية بين الأصدقاء [2] .

ويتحدث «شيمبر» Schimber عن الحمامات في الجزائر ومدى إقبال السكان عليها، وعن الدور الذي ينسبه إليها الحضر في معالجة الكثير من الأمراض أو الحيلولة دون وقوعها، ويتحدث عن طريقة من طرق العلاج التي شاهدها في الحمام ويصفها كالآتي: «دخل إلى الحمام شاب انتفخت لوزتاه عند فكه الأسفل، واستحم ثم اتجه إلى رجل كبير السن جالس في الرواق.. فوضع يديه فوق لوزتيه وضغط عليهما بشدة رافعاً إياه عن الأرض لمدة طويلة، ثم أعاده إلى مكانه، وقد اعوج وجه الشاب ثم أغمي عليه. وعندما استيقظ ثانية ونظر حوله مستغرباً، كرر الشيخ معه العملية مرة ثانية وثالثة إلى أن نام الشاب طويلاً، ثم فتح عينيه وتنفس بقوة واستحم من جديد، ثم غادر الحمام، وقد شفي من مرضه » [3] .

ويخبرنا الدكتور «أندرهيل» Underhill في أواخر القرن الـ18م عن الإضاءة والماء البارد والساخن وبيوت التجميل والفوط ومحكات الجلد، وخدم الحمامات، والقهوة والشربات، والدخان، وتنسجم أخباره مع أخبار من سبقوه من الزوار، ومعظم الكتاب المسيحيين يعترفون باهتمام المسلمين بقضية النظافة داخل هذا النظام الممتاز وهو نظام الحمامات، فيكون كلامهم صحيحاً ولكن الحمامات كما ذكرنا قد تكون متصلة أيضا بالتقاليد الكلاسيكية القديمة (الرومانية) [4] .

[1]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 152 .
[2]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 114 .
[3]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 14 .
[4]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص 152 .

ويذكر «توماس شاو» Thomas Shaw أبرز الحمامات التي تعرف عليها أثناء رحلته إلى إيالة الجزائر، أمثال حمام ملوان، سيدي ابلي، وهران، اغريس، العلمة، الحامة، وحمام مريغة ذوي درجة حرارة مرتفعة ويمكن الاستحمام فيها، إلا أن مياه حمام المسخوطين أشد حرارة لدرجة أنها تذيب الحجر الذي تجري فيه هذه المياه [1] .

وقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، ولكن الإجراءات كانت مختلفة والنساء كان أمامهن وقت أكثر ومناسبات أقل للتجمع. فإضافة إلى الاستحمام تتمتع النساء بتناول الفواكه والجوز والحلويات في غرفة الملابس بعد نهاية الاستحمام. كما تقوم المؤسسة أيضاً بتهيئة جو موسيقي لهن مع الرقص والغناء.. وفي هذا الجو المبهج، تقضي السيدات الجزائريات يوماً من أيام الأسبوع في الحمامات [2] .

ج – الفنادق :

وهي مباني كبيرة ذات طابق أو طابقين، تضم محلات يستغلها التجار والحرفيون، كما تضم غرفاً يأوي إليها العزاب والمسافرون، وكان في بعضها إسطبلات يمكن للتجار الذين يرتادون المدينة بالماشية والدواب أن ينزلوا فيها، وكان بعض هذه الفنادق تشبه ما يعرف في المشرق بالبازار، وهي أسواق مغطاة تصطف في أطرافها المحلات على طول الممرات [3].

كانت لا توجد فنادق للمسيحيين خلال القرن الـ16م وبداية القرن الـ17م، وكان على المسافر المسيحي أن يجد ملجأه في الحي اليهودي، ولكن خلال القرن الـ17م، أنشأ القناصل الأوروبيون نوعاً من المنازل أو الفنادق لتخزين البضائع وإدارة الأعمال القنصلية، والقيام بالوظائف الدينية... ثم محلات يمكن للزائر أن يقيم فيها، ثم بحلول القرن الـ18م، حين وجد بين خمسة إلى سبعة من القناصل الأوروبيين في الجزائر، أصبحت هذه الخدمات منظمة بشكل مناسب [4] .

وحسب «ليسور ويلد» Lessor Wild هناك ما يعرف بفندق البحرية التي هي بناية كانت تستعمل في عهد الداي كمسكن لرئيس البحرية، تتسم هندسة هذه البناية بطابع مبتكر

---

[1]- Thomas SHAW , op.cit , pp 27 – 28 .

[2]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 115 .

[3]- بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 229 .

[4]- جون وولف، المرجع السابق، ص 152 .

يبلغ مستوى ممتاز، فهي تعد من أكثر بنايات المدينة أناقة وميزة، يوجد بأسفلها منبعان جميلان، وفي عهد الداي كان جمهور الفضوليين والتجار ينزلون فيه [1].

د – الأسواق والمحلات :

توجد في الجزائر بعض الأسواق يعرض فيها الغرباء عن المدينة بضائعهم وهي لا تشبه تلك الأسواق الضخمة التي كانت موجودة قديماً في بغداد أو طهران، ولا يمكن أن تقارن حتى بأسواق أزمير أو القسطنطينية، فأسواق الجزائر فقيرة بجانب تلك الأسواق، وهي عبارة عن دور تشبه الدور العربية، مع فارق واحد هو أن جانبي الفناء يحتويان على حجرات منفصلة فيما بينها، ولكل سوق طابقان أو ثلاثة وغرف كثيرة [2] .

وانتشرت الأسواق بشكل كبير في معظم أنحاء الإيالة، ففي مدينة الجزائر يوجد شارع الأسواق الكبير الذي يصل باب عزون بباب الواد وهذا الشارع يقع في حارة التجار، ويمتلئ شارع السوق الكبير والمخازن والمحلات التجارية من كل الأنواع... وتكون هذه الأسواق زاخرة بالناس ومملوءة بالضجيج وفي بعض الأحيان صاخبة ومهتاجة [3] .

أما دكاكين التجار من الأهالي، وهي تقع خارج هذه الأسواق، فإنها صغيرة تافهة كما يصفها «فاغنر» Wagner، فليس فيها تنوع في البضائع، فهذه الدكاكين هي عبارة عن ثقوب مربعة، تغلق في الليل بباب خشبي متهرئ، ولا تستثنى منها إلا الدكاكين الموجودة في شارع الديوان لأن بضائعها متنوعة ومنظمة بصورة تدل على ذوق أصحابها، من صناعات مطرزة بالذهب، مصنوعات قطنية، عطور، مصنوعات من خيوط الصبر، أحذية... [4]

كما ذكر «توماس شاو» Thomas Shaw وجود الأفران في المدن والأرياف، التي يلجأ إليها الأهالي لتحضير مختلف أنواع الخبز والحلويات والفطائر، وتحضر العجينة في المنازل من طرف العائلات لكي تؤخذ إلى هذه الأفران ويتم طهيها هناك [5] .

[1]- ليسور ويلد ، المرجع السابق ، ص 80.
[2]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 62.
[3]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 77.
[4]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 63.
[5]- Thomas SHAW, op.cit, p 121.

ويمكن التفريق بين نوعين من الأفران هما أفران الأحياء السكنية والأفران المخصصة لإعداد خبز العسكر الانكشاري، وتعود ملكيات هذه الأخيرة إلى الجماعة الجيجلية، وقد أصدر آخر الدايات الداي حسين نحو سنة 1826م قراراً بإلغاء تخصيص أفران للعسكر في المدينة، وبنى في المقابل مباني ملحقة لقصر الجنينة تسع لاثني عشر فرناً معداً للخبز وثلاثة لطبخ الكعك وأبقى إدارتها واستغلالها في يد الجيجليين [1] .

هـ - العيون :

ولا يجب أن ننسى الحديث عن العيون التي أبدع فيها الأندلسيون والأتراك والتي تزين وسط المدن، كما تتواجد بجوار أسوارها، الأولى موجودة في قصر الداي، وماءها يجري لصالح استعمالات القصر أو المنازل المجاورة، وبالقرب من القصر توجد عين أسسها صفر باشا عام 1580م، والتي تحتوي على خزان يوزع الماء في حوض رخامي، كما توجد عين أخرى في منزل رمضان باشا، وفي كل ساحة من ساحات الثكنات الثلاث توجد عيون مخصصة للجنود، وكمية المياه الموجودة فيها كبيرة جداً، تكفي للعديد من الأشخاص[2].

بعد وصول الأندلسيين، أقاموا بمدينة الجزائر قناتين للمياه، وتشكلت عدة مجاري في البلاد، فأصبحت تتوفر على كميات كافية من مياه الشرب عن طريق قنوات وأنابيب تحت سطح الأرض، التي تزودها بما يفوق عن 150 منبع ماء للشرب، ويثبت في كل واحد من هذه المنابع طاس يستعمله المارة في الشرب [3]، ومن أشهرها قناة الحامة التي تتغذى من نبع بعيد عن المدينة في جهة الجنوب، وأعلى عين في المدينة يصل إليها الماء من هذه القناة موجودة بشارع الديوان، وقد عثر «ديفولكس» Devoulx على عقدين يشيران إلى هذه القناة أحدهما يذكر أنها بنيت سنة 1788م، والثاني يصف موقع العين التي تتغذى منها [4] .

و– المنازل :

المنازل في الجزائر حسب «وليام شالر» William Shaler، مخططة ومبنية كلها على نفس الطراز، كل منزل يحتوي على حوش، ونتيجة لاتساع الحوش، تصبح شقق المنزل ذو

[1]- بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 227 .

[2]- Diego DE HAEDO, op.cit, p 220.

[3]- جيمس ويلسون ستيفنز ، المصدر السابق ، ص 212 .

[4]- بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش ، المرجع السابق ، ص 231 .

الأربع واجهات ضيقة جداً وطويلة جداً، ولها نوافذ، لكن المنازل في الجزائر لا تتلقى الضوء عادة إلا من الحوش، لأنه من غير المسموح لمنزل يشرف على منازل أخرى أن تكون له نوافذ[1]، وبالحديث عن النوافذ يخبرنا «بوتان» Boutin أن من شدة غيرة الرجال الجزائريين على نسائهم، فإن جميع النوافذ التي تشرف سواءاً على الشوارع أو على الحوش تكون مزودة بشرفة تغطيها قضبان من حديد أو خشب تمنع رؤية الموجودين في المنزل من الشارع خاصة النساء [2].

أما منازل المدينة فهي منتظمة وبناؤها جيد بالنسبة لنوعيتها، ويحرص في بنائها على أن يكون كل جزء من المنزل منفصلاً عن الأجزاء الأخرى ولا سيما الأجنحة الداخلية حتى تظل النساء في معزل، بحيث لا يمكن أن يراهن أحد، وكذلك يستخدم الرواق كمكان للتوقف بحيث يخلع الحذاء قبل الدخول إلى المنزل [3] .

ويضيف «وليام شالر» William Shaler قائلاً: « ومنزلي مثل المنازل المشابهة له، ألحق به منزل آخر أصغر منه ويدخل ضمن حيطانه، فيما عدا ذلك، يشكل بناية مستقلة بنفسها، وهو يستعمل عادة لإيواء النساء، أو لأسرة تابعة لصاحب المنزل الكبير، أو لسكن ابنه المتزوج، وكذلك تستعمل هذه البناية في حالات أخرى مطبخاً، أو مكاتب، أو حمامات..» [4] .

وفي جميع المنازل في الجزائر توجد شقة صغيرة توضع عند الباب الخارجي، خارج البناية، وفي هذه الشقة يستقبل رب البيت الزوار ويتولى المعاملات، لأن الأجنبي غير مسموح له بالدخول إلى المنزل بسبب وجود النساء. والأجنبي لا يمكنه أن يدخل منزل عائلة جزائرية إلا في ظروف استثنائية، وهذه الشقة التي هي فسيحة وفاخرة التأثيث تسمى «السقيفة»، والرجال المسلمون محرم عليهم الصعود إلى سطوح منازلهم بالنهار، وبذلك تبقى هذه السطوح وقفاً على النساء [5]، ويخبرنا الأسير الأمريكي «جيمس ويلسون ستيفنز» James Wilson Stevens أن السطوح مستوية مما يمكن الناس زيارة بعضهم البعض على

[1]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 95 .

[2]- Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 169.

[3]- هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 37 .

[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 95 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 96 .

مسافة قصيرة وبدون النزول إلى الشوارع، أما المنازل غير المتساوية في الارتفاع فإن الاتصال بين الجيران يقع عن طريق سلم، وبما أن المنازل مفتوحة من فوق، فإنه من السهولة أن يدخل أي أحد إليهم، أما السرقة والسلب نادراً ما يحدثان، فإذا قبض على مجرم في بيت فإنه يتعرض إلى عقوبة الإعدام، وترمم سطوح المنازل بنوع من القرميد أو الآجر، ويقام سور القرميد من حيث العلو حتى الصدر لمنع سقوط الأشخاص [1] .

وخلاصة الحديث، نستخلص أن الكتاب الغربيين قد اختلفوا في وصفهم لطبائع وأخلاق الجزائريين في الفترة العثمانية، فقد ركز البعض منهم على ذكر الصفات المذمومة فقط، إلا أن الأكثرية منهم ذكروا حسن أخلاق المجتمع الجزائري وامتدحوا خصالهم من أدب وكرم وحسن المعاملة مع الغير، ووصفوا مدى تعلقهم بالدين الإسلامي، فنقول أن المجتمع الجزائري لا يختلف عن غيره من المجتمعات من حيث صفاته وأخلاقه، فالخير والشر يجتمعان فيه... وإثر تناولنا للمرافق العامة بالجزائر خلال العهد العثماني، تعرفنا على بعض سلوكات وطبائع السكان سواءاً في المقاهي والحمامات والأسواق، ومدى تعلقهم وارتباطهم بهذه الأماكن التي توضح بدورها الواقع الاجتماعي للجزائريين في تلك الفترة.

[1]- جيمس ويلسون ستيفنز ، المرجع السابق ، ص ص 210 – 211 .

المبحث الثالث: الاحتفالات الدينية، العادات والتقاليد

من أهم النقاط التي تبرز الواقع الاجتماعي للسكان: احتفالاتهم، عاداتهم وتقاليدهم... ولعله الجانب الذي تأثر به أغلب الغربيين في كتابتهم عن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.

1 – الإِحتفالات الدينية :

أ – صيام شهر رمضان:

يصف «لوجي دي طاسي» Laugier De Tassy ثبوت هلال شهر رمضان أو شهر الصيام عند الجزائريين هو بمثابة مهرجان كبير لإعلان بداية الصيام، فهم يقدسون هذه الشعائر أكثر من المسيحيين، ويضيف أنه لاحظ فيهم أنهم يقضون اليوم كاملاً دون أكل أو شرب.. فبمجرد غروب الشمس يجري معظم الشباب بالآلات الموسيقية والطبول مع الصياح والغناء معلنين بذلك حلول وقت الإفطار، أما الأشخاص المخلصين لدينهم والمحافظين لسمعتهم يطبقون الأشياء كما ينبغي، فيجلسون في بيوتهم لانتظار وقت المغرب[1]، وهذا ما أكده كذلك «بوتان» Boutin ، بأن الناس الحكماء يقدسون الصيام وذلك بالمكوث في المنزل تجنباً للمحرمات وللحفاظ على صحة صيامهم وعبادتهم، عكس بعض الشباب الذين يقضون ليالي هذا الشهر في السهرات واللهو، فيعتبرونه موسم للاحتفال والمرح [2] .

ويذكر الأسير الأمريكي «ستيفنز» Stevens أن الجزائريون يخضعون مرة واحدة في السنة إلى الامتناع الصارم عن كل الملذات ويطلقون على هذه المناسبة اسم «رمضان»، وفي أثناء ذلك لا يقتربون من المرأة ولا يأكلون ولا يشربون، ويبتعدون عن الشمة والتدخين من طلوع الشمس إلى غروبها الوقت الذي يرفع المؤذن الراية كعلامة للأكل [3] .

ويتحدث الألماني «فاغنر» Wagner عن بعض التقاليد المتبعة في شهر رمضان، فيقول أن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم بإطلاق مائة طلقة من مدفع الميناء، وبعد هذه الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد تضيء الهلال الذي يتوج رؤوسها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح ويرفع العلم الأبيض ثم يدعو المؤمنين إلى الصلاة [4] .

---

[1] - Laugier DE TASSY, op.cit, p p 115 – 116.
[2] - Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 138.
[3] - جيمس ويلسون ستيفنز ، المصدر السابق ، ص 245 .
[4] - أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 66 .

كما تقام احتفالات بسبب قدوم هذه المناسبة، فشرفات المنازل تزين بالمصابيح، كما تزين المنازل من الخارج وأيضاً من داخلها، ويظهر الرجال بملابس جميلة وأنيقة، كما ترتدي النساء أغلى ما يملكن تعظيماً لهذه المناسبة [1]، كما يذكر «فاغنر» Wagner الحفلات الموسيقية التي تقام طيلة ليالي هذا الشهر، كما يتسلى الناس بمشاهدة العروض المسرحية والهزليات المتنوعة في المقاهي، وثمة محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان وهو المسرح الشعبي أو القراقوز، وطعام الصائمين في الليل هو الكسكسي بالزيت، ويضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، وبعد الطعام ينصرفون إلى المقاهي العربية [2] .

يذكر «هايدو» Haedo أن في منتصف شهر الصيام يقوم الأهالي والأتراك والأعلاج بالاجتماع في فرق من 30 أو40 شخصاً، ويصنعون بواسطة ألواح دمية لجمل، ويغطون الألواح بالحايك، ويطوفون ويرقصون أمام منازل الأغنياء إلى أن تفتح لهم الأبواب ويعطون لهم نقوداً يقومون بتقسيمها فيما بينهم. وفي ليلة اليوم السابع والعشرين من رمضان، تقام احتفالات كبيرة وتوزع الصدقات والمؤونة للفقراء، فمن الناس من يضع مختلف أنواع المأكولات أمام أبواب المنازل، فتسمى هذه الليلة « ليلة سبعة وعشرين» أو ليلة القدر [3].

ومع نهاية شهر رمضان، وعند رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلاناً بانتهاء شهر الصيام وحلول العيد [4].

ب – عيد الفطر :

حسب «وليم سبنسر» William Spencer، كانت الأعياد في الجزائر تدعى «بيرامات» من الكلمة التركية Bayram الخاصة بالعطل الدينية، وبالطبيعة فإن الأساسية من بينها كانت مرتبطة بالإجراءات الاجتماعية الدينية للإسلام، وكان عيد الفطر يسمى «سكر بيرام» Seker Bayram أي عيد السكر وقد سمي هكذا بسبب تبادل الهدايا فيه، والقطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة بالسكر، وذلك بمناسبة نهاية رمضان شهر الصيام [5] .

[1] - Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 138.

[2] - أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 68 .

[3] - Diego DE HAEDO, op.cit, p 156.

[4] - هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 48 .

[5] - وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 120 .

يذكر الأب «بيار دان» Pierre Dan أن بعد نهاية رمضان، يحتفل الجزائريون المسلمون بالعيد والذي يدوم حسبه ثلاثة أيام، والتي خلالها يقومون بالتصدق والتبرع للفقراء بما يملكون، ويقصدون المساجد لأداء الصلاة مع دعائهم وطلبهم العفو من ربهم، ثم يتصافحون ويتبادلون التهاني فيما بينهم[1]، وهذا ما ذكره «هايدو» مع تفاصيل أخرى، فيذكر أن في صبيحة هذا اليوم يخرج المسلمون جميعهم من باب الواد ويلتقون في المصلى أين يقف القاضي أو أحد الأشراف أمامهم والباشا بجانبه لأداء الصلاة جماعةً، وبعد الفراغ من الصلاة يقوم الإمام بإلقاء خطبة، ثم يتجه كل واحد إلى منزله ليرتدوا أجمل الثياب ويصعدون فوق أحصنتهم للعب والسباق على شاطئ البحر[2] .

كما يسميه الألماني «فاغنر» Wagner بالعيد الصغير وهي التسمية المتداولة لدى الجزائريين، ويصفه بأنه عيد البهجة والمغفرة، يستسلم فيه المسلم إلى مسراته حتى في أوقات النهار، فيستيقظ الناس في الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة التي يعزفها السود وهم يرتدون أجمل الثياب وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية وموسيقاهم ذات الإيقاع الهمجي[3]، والرقصات التي تقع بهذه المناسبة تلفت الانتباه بصفة خاصة، فيجتمع زنوج مدينة الجزائر سواء كانوا أرقاء أو أحراراً داخل فرق تضم كل واحدة ما بين عشرة وخمسين، ليمرحوا ويرقصوا مدة تستغرق الجزء الأكبر من النهار، ويتجولون مدة طويلة في شوارع المدينة مع الرقص على إيقاع الموسيقى أمام ديار سادتهم [4] .

ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الذين يرتدون الثياب المطرزة بالذهب والفضة، والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن، والنساء والفتيات محجبات إلا أن عددهن في الشوارع والميادين العامة لا يقل عن عدد الرجال، ويكتفين بالنظر والتسلية، وفي ميدان فسيح يقوم عجوز تركي بإدارة عجلة كبيرة وفوقها عدد من الأطفال يضحكون ويمرحون، أما أبناء الأغنياء فيركبون عربات فرنسية يقودها الزنوج أو البسكريون [5] .

[1] - Pierre DAN, op.cit, p 270.
[2] - Diego DE HAEDO, op.cit, p p 156 – 157.
[3] - أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 69 .
[4] - ليسور ويلد ، المرجع السابق ، ص 88 .
[5] - أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 70 .

فالعيد يتخذ مظهراً مرحاً بصورة مطلقة، فالمسلمون أنفسهم يستسلمون لبهجة العيد دونما حرج، بحيث أن العيد لا يسبب لأحد رهبة أو خوفاً، ولعلهم يشعرون في أعماقهم بالفرق بين الماضي والحاضر [1].

ج – عيد الأضحى :

يرى «وليم سبنسر» William Spencer أن أكبر الأعياد هو قربان بيرمي Kurban Bayrami أو كيوك بيرمي Kuyuk Bayrami ومعناه الحرفي عيد المسلم الكبير للتضحية، وهو عيد الأضحى أو العيد الكبير لدى المسلمين الناطقين بالعربية، ويحتفى بذكرى التضحية المقدسة من قبل النبي إبراهيم بكبش بدل ابنه إسماعيل، فحينما يقرر المفتي من خلال المقارنة التي يجريها بين الخط الأبيض والأسود أن اليوم الجديد قد أشرق فجره، تطلق نيران البنادق بكثرة [2] .

ويخبرنا «هايدو» Haedo أن هذا العيد يدوم ثلاثة أيام، ويحتفل به بعد شهرين عشر ليال من عيد الفطر، ويتم ذبح أو التضحية بالكباش بعد شروق الشمس بحوالي ساعتين، بعد صلاة العيد التي تقام في الساحات أو المصلى بحضور الباشا، والكباش تكون جاهزة في المنازل ويأخذ كل أضحيته ويوجهها إلى القبلة ثم ينظف وجه الحيوان ويطهره ليذبحه بيده، أما النساء فيأخذن الدماء الأولى ويحتفظن بها بحجة أنها مقدسة، ثم يعلق الكبش إلى غاية اليوم الثالث ليقسم مع الأهل ويصدق الباقي للفقراء، ويترك جزء منه مملحاً ومعرضاً للشمس [3] .

كما يحدثنا «كاثكارت» Cathcart عن احتفال الحكام الأتراك بعيد الأضحى في قصر الداي، فيروي أن في صبيحة اليوم الأول من العيد يرفع العلم العثماني والجزائري على التحصينات وتطلق المدافع نيرانها وقذائفها احتفالاً بهذه المناسبة، وبعد مباريات المصارعة يأتي كبار الموظفين والأعيان إلى قاعة الاستقبال عند الداي لتقبيل يده، ثم يستدعيهم إلى جناحه الخاص لتناول الطعام، فيحتفل عيد الأضحى في القصر بالمآدب والموسيقى ومباريات المصارعة والصواريخ والمفرقعات التي تشعل عند الباب الخارجي للقصر [4] .

---

[1] - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 71.

[2] - وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 120.

[3] - Diego DE HAEDO, op.cit, p 159.

[4] - كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 32 .

د- المولد النبوي الشريف :

بعد ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً من هذه المناسبة، يتم الاحتفال بذكرى ميلاد النبي محمـد والذي يسمى المولد (المولود)، في هذه المناسبة لا يخرج الناس للصلاة الجماعية كما يفعلون في الأعياد، بل يتم إنارة المساجد بالشموع عشية المناسبة ليذهب كل شخص إلى زيارتها وأداء الصلاة فيها منفرداً، في صبيحة اليوم يتم تنظيف شرفات وواجهات المنازل لوضع الكثير من الشموع عليها، وفي نفس الوقت تحضر كميات معتبرة من الكسكس باللحم والحمص لإطعام العائلة والغير، مع الجلوس في فناء المنزل لتبادل أطراف الحديث. وذكر هايدو أن من المسلمين من يعتقد بمجيئ النبي محـمد ليلة هذه المناسبة لزيارة البيوت النظيفة والجميلة التي أحسنت الاحتفال.. [1] .

كما ذكر «دي بارادي» Venture De Paradis احتفال المسلمين في الجزائر بهذه المناسبة في يوم 12 ربيع الأول من كل سنة قمرية، تخليداً لذكرى ميلاد الرسول، وهي بمثابة مناسبة عظيمة لدى أهل الجزائر الذين جرت العادة عندهم بإشعال الفوانيس الملونة [2].

2- العادات والتقاليد :

إن العادات والتقاليد في مجتمع إيالة الجزائر كثيرة ومتنوعة، وهي من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية التي دفعت بالكتاب والمؤلفين الغربيين إلى الكتابة حول هذا الموضوع... ونذكر البعض منها والتي أشار إليها هؤلاء الغربيين، بدءاً بما ذكره «بوتان» Boutin من عادات تميز بها الأهالي منها اعتيادهم على المشي حفاةً أو بنعال بسيطة، ورب البيت اعتاد على إعطاء ضيفه قبل دخوله باب المنزل دلو من الماء كي يغسل رجليه، وكذلك عند حدوث شجار بينهم وبين جيرانهم فيأخذون معهم نساءهم وأولادهم لأن حضورهم يزيدهم شجاعة أو خوفاً من فقدانهم أو رؤيتهم أسرى [3]، وذكر «توماس شاو» Thomas Shaw عادة تميزت بها النساء هي وضع مادة الكحل على رموش العين ويعتقدن أنه سيكون هناك شيء مفقود إن لم يقمن بذلك، وهو استخدام قديم... [4]

---

[1] - Diego DE HAEDO, op.cit, p p 159 – 160.
[2] - Venture DE PARADIS, op.cit, p 163.
[3] - Vincent Yves BOUTIN, op.cit, p 136.
[4] - Thomas SHAW,op.cit, pp 118 – 119 .

كما أن الأهالي يستيقظون باكراً عادةً، ولا يقصرون أبداً في أداء مختلف واجباتهم اليومية، فيذهب كل إلى عمله، إلى غاية الساعة العاشرة الذي اعتادوا فيه على تناول الغداء، ثم يواصلون أشغالهم إلى غاية وقت العصر الذي يتوقفون فيه عن العمل مع غلق الدكاكين [1].

- الاعتقادات والطقوس:

ذكر «شاو» Thomas Shaw عادة أخرى لاحظها في المجتمع الجزائري وهي وضع صورة اليد المفتوحة على رقبة الأطفال ورسمها على سفنهم ومنازلهم كحافظ من عين السوء، كما يعتقدون أن الرقم خمسة رقم مؤسف، ويستعملون تعبير « خمسة في عينيك » في بعض المواقف.. ويحملون لفافة صغيرة معهم نسخ عليها جزء من القرآن يضعونه على صدورهم أو تحت قبعاتهم لضمان أنفسهم من أي سحر أو تعويذة أو مرض.. فهم مقتنعون من فعالية هذه التمائم، مع تعليق البعض منها حول رقبة مواشيهم وخيولهم..[2]

ويضيف «هايدو» Haedo أن من معتقدات أهالي الجزائر تقديس وتعظيم الأضرحة والتبرك بقبور الأشراف والمرابطين، الذين عرف عن البعض منهم عند أدائهم للحج احتلال مكانة وشأن كبير في المجتمع مع اعتبار ذلك الحاج من الأولياء والصالحين.. وذكر عادة من العادات الغريبة التي يفعلها هؤلاء الحجاج عند زيارة قبر الرسول محمد وهي خلعهم لإحدى عينيهم بحجة أن من رأى قبر الرسول لا يحتاج لرؤية شيء آخر من هذا العالم [3] .

- العادات الجنائزية:

وقد اجتذبت الحياة الاجتماعية النرويجي «نيلز موس» Neils Moss، حيث وصف لنا بعض العادات، فتحدث عن بعض العادات الجنائزية لدى المسلمين في مجتمع الإيالة، إلا أنه سقط في بعض المغالطات حيث يقول: « أن كثير من الأهالي يعتقدون أنه على المتوفى أن يتناول الطعام والشراب بعد الممات، فكانوا - كما شاهد بعينيه- يحملون التين المجفف والخبز»، وهو يجهل أن تلك الصدقات هي موجهة للمحتاجين الذين اعتادوا على المجيء كل يوم جمعة لإشباع بطونهم وسد جوعهم. وفي سذاجة وجهل يعتقد أن هؤلاء يؤمنون أن الموتى لديهم الخيول والمزارع وكل ما هو عجيب [4] .

---

[1] - Thomas SHAW, p 124.
[2] - IBID , p 137.
[3] - Diego DE HAEDO, op.cit, pp 164 – 165.
[4]- نيلز نيلسون موس ، المرجع السابق ، ص ص 131 – 132 .

وقد شرح «سبنسر» Spencer في كتابه وأشار إلى بعض العادات الممارسة في جنائز سكان الجزائر، فعند موت الشخص تغسل الجثة بالماء الساخن والصابون، ثم يلبس ويحمل معه وثيقة إلى القائد والرأس مسجي إلى الأمام لتدفن، وإن كانت الوفاة في يوم الجمعة فإنه يبقى عليها أثناء وقت الصلاة في المسجد وحينئذ يرافق معظم المصلين الجثة إلى المقبرة وهم يرتلون سور قرآنية ويمشون بسرعة، وهذا كي لا يتعطل ملك العدل ربما في استقبال روح الميت. فيدفن ثم يوضع حجر عند الرأس وأخرى عند القدم، فيعلم حجر القبور للرجال بخرقة ويعلم حجر القبور للنساء بباقات من الزهور..[1]

وكانت فترة الصباح مخصصة للنساء اللواتي يقضين الثمانية أيام الموالية حول القبر، وكان عليهن أن يذهبن كل جمعة. وأفراد البيت الذكور كان عليهم أن لا يلحقوا لمدة ثلاثة أيام بعد الجنازة، ولا يسمح بإيقاد النار داخل بيوتهم. ومن عادات الجنائز ارتداء النساء للسواد ما عدا الأرملة فتخلع خواتمها وتلبس ثياباً قديمة. والنساء الأرامل في فترة حزن لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يذهبن إلى حافة البحر حاملات حقائب من الأمشاط والبيض غير المطبوخ ويوزعهن، وهذا العمل كان يحللهن من محنتهن ويستطعن الزواج من جديد [2] .

- عادات وتقاليد الأفراح:

كما ذكر الرحالة الألماني «فاغنر» Wagner العادات والتقاليد في الحفلات العائلية كالختان والولادة.. فالمولود الجديد لا يحمل إلى المسجد ولا يختن الأطفال إلا في الرابعة، ويدعى الرجل الذي يقوم بالعملية وهو البشار الذي يستلم هدية من الأغنياء، أما الفقراء فإنه يختن أولادهم مجاناً، ويختن أبناء البادية من طرف المرابط، فالختان بالنسبة لعرب الريف حفلة دينية، أما الحضر فهم يطعمون ويكررون نفس الحفلات، وما جذبه هو زغردة النساء ونغمة الطنبور مما أثار فضوله وأتاح له التعرف على عادات الأهالي وتقاليدهم [3].

واستطاع «فاغنر» Wagner أن يرى في هذه الحفلات عادات وتقاليد وأشكالاً من الزينة وألواناً من البديع، وذلك دون أن يزعج حضوره فوق السطح النساء، فقد كن يغنين ويرقصن ويقمن بنفس الحركات الآلية المحفوظة الرتيبة، ليس أدنى حد من الجمال والإمتاع [4] .

---

[1]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 126 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 127 .
[3]- أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص 74 .
[4]- المرجع نفسه ، ص 75 .

هذا وإن عادات وتقاليد الجزائر في العهد العثماني تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية، وأغلب هذه العادات التي يمارسها الجزائريون تستند في أساسها إلى قوانين، وليس فيها ما يفاجئ الأوروبي [1] .

3- اللباس :

أ - لباس الرجل:

بالنسبة للباس الرجل الجزائري، فقد سجل عنه شالر أنه يتكون من عدة قطع، بعضها بأكمام والبعض الآخر بدون أكمام، مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف، وبعد ذلك تأتي سراويل فضفاضة ينزل حتى ربلة الساق. وكثيراً ما يلبس الرجل حزاماً يلفه عدة مرات جول وسطه ويعلق عليه مسدساً، ويضع في طياته أيضاً ساعته ومحفظة نقوده.. ولباس الرأس هو العمامة، والرجلين البلغة، وأما الجوارب فلا يلبسها إلا الشيوخ ..[2]

وذكر «دي بارادي» De Paradis أن الرجال في الإيالة يرتدون البرنس (البرنوس) وهو عبارة عن رداء أو غطاء دون تخييط، يحتوي في أعلاه على غطاء للرأس، وينزل هذا البرنس إلى تحت الركبة، وهو مصنوع من الصوف أو الحرير[3]، يحمله الرجل على كتفيه ويغطي به كل جسمه، فهو نوع من المعطف له شكل دائري يلصق في وسطه «قلمون» يمكن للرجل أن يتركه معلقاً أو يغطي به العمامة، وهو وسيلة للوقاية من المطر، وهو في هذا الشكل يتسم بالبساطة والأناقة معاً [4]، ويضيف «شاو» Shaw أن البرانس تنسج في المدن والقرى من قطعة واحدة، وأن الكثير من الأهالي العرب والقبائل لا يستعملون غطاء الرأس الموجود في البرنوس إلا في حالة المطر والبرد، وأحياناً يترك الرجال رؤوسهم دون غطاء في فترات معينة، وغالباُ يقومون بلف قطعة قماش حول الرأس لإخفاء الشعر.. ويستوحي الجزائريون هذه العادات والتصاميم في ألبستهم من عبق تاريخهم القديم [5].

يذكر «لوجي دي تاسي» Laugier De Tassy أن لباس أتراك الجزائر يتميز بالأناقة والبساطة ويختلف عن لباس الأهالي في عدة نقاط. يرتدي الداي والموظفون الرسميون

[1]- هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص ص 46 – 47 .
[2]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 83 .
[3] - Venture DE PARADIS , op.cit , p 17 .
[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 83 .
[5] - Thomas SHAW , op.cit , pp 112 – 113 .

قميص بأكمام واسعة جداً، سروال قصير واسع من القماش الناعم أو من قطن أبيض اللون في الأيام الحارة، مع حزام في الوسط، كما يرتدون قميص دون أكمام من حرير بأزرار من الفضة وينزل إلى غاية الكعبين، مع عباءة من فضة أو ذهب أو حرير ويكون طوق القميص مزيناً بالذهب، كما يحتوي هذا اللباس جيوب داخلية صغيرة وفي كل جانب من المعطف لوضع الساعة والوثائق.. كما يرتدون نوع آخر من القميص يسمى القفطان..[1] أما اليهود فهم مجبرون على ارتداء السواد من الثياب من الرأس إلى الرجلين لتمييزهم بهذا اللون عن بقية فئات المجتمع والسكان فيرتدون قميص طويل إلى غاية الساق مع عمامة سوداء أو قلنسوة حولها عمامة ذات لون داكن [2] .

أما عن عامة الناس، فيذكر «ستيفنز» Stevens أنه قميص كتان بصفة عامة ويربطون كساء حرير بحزام وفوقه رداء فضفاض، فسراويلهم من الكتان، لهم قبقاب في أرجلهم، أو سترة من الصوف الأبيض طليقة مع برنس أو رداء واسع بلا كمين والتي غالباً ما تكون سوداء وتصل إلى الركبة، وفي الصيف لا يلبسون إلا سترتين، فلباس العامة بسيط جداً [3] .

ووصف «بواري» L'Abbé De Poiret[4] ملابس الآخرين بأنها ملابس أكثر أو أقل تفصيلاً، اعتماداً على ثروتهم، وبعضهم هم الأفقر وبالتالي فإن الأكثر عدداً يتلفون حول أنفسهم قطعة قماش بسيطة عدة مرات حول أجسادهم ورؤوسهم، ووصفها السيد دي فينيليون وصفاً جيداً ويقول إن ملابسهم سهلة الصنع، وتتغير حسب المناخ [5]، وفي هذا الصدد يذكر الرحالة الألماني «سيمون بفايفر» Simon Pfeiffer الذي مكث خمس سنوات بالجزائر فيقول: «كان لباسنا بسيطاً يتكون من قلنسوة حمراء وقميص وصدار من الصوف وسروالين ينتهيان فوق الركبة ونعلين من النوع الرخيص » [6] .

---

[1] - Laugier DE TASSY , op.cit , p 82 .

[2] - IBID , p 75 .

[3]- جيمس ويلسون ستيفنز ، المصدر السابق ، ص ص 159 – 160 .

[4]-جان لويس ماري بواري Jean-Louis Marie Poiret هو عالم نبات ورئيس دير ومستكشف فرنسي من مواليد سنة 1755م والمتوفى سنة 1834م بباريس. في عامي 1785 و1786م تم إرساله إلى القالة بالجزائر من طرف الملك لويس السادس عشر من أجل استكشاف النباتات في المنطقة.

[5] - L'Abbé POIRET , Voyage en Barbarie ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785 et 1786, Tome 1, J.B.F Née de la Rochelle, Paris, 1789, p 32.

[6]- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق وتر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 17 .

ب - لباس المرأة:

ذكر «توماس شاو» Thomas Shaw أن مما يلفت الانتباه في المجتمع الجزائري هو لباس النساء الجزائريات، فعند خروجهن إلى الشارع يرتدين ما يسمى بالحايك، وبفضل هذا اللباس لا يظهر منهن شيء ولا حتى الوجه [1].

ولا بد من القول أن الوجود العثماني ظهر تأثيره حتى في لباس النساء، وذلك لأننا لم نجد أي وثيقة سابقة عن وصول الموضة التركية ونعتقد بأنها تطورت حسب العادات والتقاليد التي كانت متبعة، ولاشيء يسمح لنا القول بأن النساء في سنة 1532م كن يرتدين نفس الأغطية واللباس الذي ارتدينه في نهاية القرن [2] .

يذكر «وليم سبنسر» William Spencer أن لباس التركيات المتزوجات يلبسن «الفارملة» بشكل شائع، وهو لباس ذو حزام ومفتوح عند الصدر، مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة، مع أو إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل، ولما يخرجن للحياة العامة فإنهن يلبسن ثوباً مزركشاً من ثلاث طبقات طوله يصل الركبة ويتحزمن بشاش مزركش عريض، ثم تأتي سراويل عريضة وبلغ مربعة مرتفعة، وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض، ويتحجبن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء [3]، والحايك ظل منذ أجيال لا تعيها ذاكرة التاريخ، وهو يصنع من الصوف، له ست بوصات في الطول وبوصتان في العرض، فيستعمل لغرضين: معطف في النهار وغطاء بالليل، ومع ذلك يجب الاعتراف بأنه لباس غير مريح، لأنه يتحتم على التي تلبسه أن تمسكه دائماً بيدها [4] .

ويضيف «شالر» Shaler أن لباس النساء الأهليات يتكون من قميص صغير يصنع عند نساء الطبقة الغنية من أرفع المواد وأفخرها، ومن سراويل ينزل حتى العقب، وثوب من الحرير أو من مادة أخرى ويكون غنياً بالتطريز بالدنتال ويغلق بشريط من الوراء، وأخيراً تلبس المرأة الجزائرية حذاء، ولكن بدون جوارب [5] .

---

[1] - Thomas SHAW , op.cit , p 117 .

[2]- كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 72 .

[3]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 107 .

[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 84 .

[5]- المرجع نفسه ، ص 85 .

فنساء العرب يتم تمييز لباسهن من خلال ثروتهن، فذكر «بوتان» Boutin أنهن يرتدين قمصاناً دقيقة جداً، وأدراجاً مثل الرجال، وسترة من نوع الحرير، ويضعون فوقها ثوباً طويلاً ملوناً يصل إلى منتصف الساق بأكمام واسعة للغاية، وعندما يضطرن إلى الظهور بملابس احتفالية، فإنهن يلقين فوق أنفسهن عباءة طويلة عادة ما تكون حمراء أو زرقاء، ويربط طرفيها على الأكتاف بمشابك فضية... كما ترتدي النساء الأقل ثراء زياً مشابهاً تقريباً مصنوعاً من الصوف، وعند خروجهن يحملن في أيديهن ما يشبه القناع الذي يضعنه على وجوههن عندما يقابلن الرجال، إلا إذا كانوا من أقاربهن [1] .

كما تلبس المرأة الجزائرية الحلي الثقيلة، بما في ذلك خواتم وأقراط الذهب وأساور وخلاخل من الذهب والفضة. والمعدن الشائع في الطبقات الغنية هو الذهب ثم تنزل النساء حسب طبقتهن إلى الفضة. ولباس الرأس المميز لديهن هو«السرمة» الذي يصنع من الذهب أو الفضة حسب الطبقة التي تنتمي إليها المرأة، وهو مخروطي الشكل، وفوقه يلقى حجاب شفاف كثيف أو خفيف التطريزة، هذا بالنسبة للمرأة المتزوجة، أمام الفتاة غير المتزوجة فترتدي على رأسها بدلاً من ذلك قلنسوة عادية مطرزة بالذهب [2].

كما يشير «دي تاسي» De Tassy إلى أن سترات وقفطان النساء الثريات يكون من الحرير أو الذهب أو الفضة مع ضفائر، فيكون شعرهن مضفراً ومتشابكاً باللؤلؤ والألماس أو الفيروز أو الزمرد أو الأحجار الكريمة الأخرى، كما لديهن خطافات للأذن وقلائد تبدو أحياناً ثابتة وملتفة خمس مرات، والتي تعلق على الحلق والأساور والخواتم الفضية... [3]

4- الطعام :

تتكون الأغذية الرئيسية لسكان الجزائر من: الخبز، لحم الضأن، الدجاج، السمك، الزبدة، الحليب، زيت الزيتون، الزيتون، الفواكه، الخضروات، والكسكسي الذي يصنع من عجينة تشبه العجينة التي تصنع منها المعكرونة، فيمكن اعتبار الكسكس الصحن القومي [4] .

[1] - Vincent Yves BOUTIN , op.cit , p 140 .

[2]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 85 .

[3] - Laugier DE TASSY , op.cit , p 84 .

[4]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 87 .

وقد يرفق بالمرق والخضروات أو يقدم بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة.. والكسكس لذيذ الطعم ومغذ جداً، والطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم تحضره بزيت الزيتون أو مدهوناً بالزبدة، أما طبقة العمال، فهي تقتنع بالخبز والزيت متى أمكنها الحصول عليه [1] .

كما أكد «سبنسر» Spencer تأثر المطبخ الجزائري بالأكلات العثمانية التركية، وقد أصبح عدد الأطباق التركية يشكل المستوى الجيد في الإيالة إلى جانب الكسكس، وهناك البيلاف (بيلو أوبيلاو) وهو طبق أناضولي ثابت كان أيضاً شائعاً كثيراً في الجزائر، كما كانوا يقبلون كثيراً على طبق الدولما (معناها الحرفي المحشوة) من مختلف الأنواع، وقد كان الكباب من لحم العجول والخرفان والغنم شائعاً في المطبخ الجزائري وكذلك الكفتة.. ولاحظ «سبنسر» Spencer أنهم يأكلون في العادة بسرعة وعند الانتهاء من الأكل يرجع كل واحد الشكر قائلاً: «الحمد لله» [2].

ويخبرنا «كاثكارت» Cathcart عن الأطعمة وطرق تقديمها في منازل الكبار فيقول: «والخبز يكسر قطعاً صغيرة ويوضع أمام كل واحد من الضيوف مع الملعقة، واللحم يقطع دائماً شرائح قبل أن يطبخ والطيور تطبخ عادة بكاملها وعندما تقدم للأكل تكون مطبوخة وناضجة بحيث تقطع أطرافها بسهولة، ومن ثم فإن الجزائريين لا يحتاجون إلى استعمال السكاكين والفرش للأكل» ويضيف أنهم يتناولون الشربة بالملاعق، وعندما ينتهي رب الدار من طعامه يتمنى له الجميع صحة طيبة بقولهم «صحة عليك» ثم يشكر الله ثلاثاً وينهض ويقف الضيوف معه ويتجهون جميعاً لغسل أيديهم [3] .

وذكر «دي بارادي» De Paradis طعاماً آخراً يصنع في كل أنحاء الإيالة الأهالي وهو ما يسمى بـ«الخليع» وهو عبارة عن قطعة لحم بقر أو غنم تقطع إلى قطع صغيرة ويوضع لها الملح، ثم تترك تحت أشعة الشمس، ثم تغلى وتجفف بعد الغليان، ليتم وضعها في قدر ويضاف لها زيت الزيتون، ويؤخذ بعض القطع منها لطهي الكسكس، أما القديد فهو نفس قطع اللحم المملحة لكن دون وضعها في زيت الزيتون بل تقدم للأكل هكذا [4] .

---

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 88 .
[2]- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 113 .
[3]- كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 73 .
[4]- Venture DE PARADIS , op.cit , p 27 .

من عادات سكان الجزائر في تناول الطعام.. يكون فطور الصباح على السادسة صباحاً، والغداء على التاسعة صباحاً، أما العشاء فيكون على السادسة مساءاً. بالنسبة للأثرياء والعمال وجبة العشاء هي أهم وجبة في اليوم لأنها تتكون أساساً من اللحم، وتختلف كمية الطعام المتناولة لدى الأفراد بحسب مكانتهم الاجتماعية[1]، والجزائريون لا يستهلكون إلا قليلاً من لحم البقر، وهم قلما يذبحون بقرة، ولا يذبحون عجلاً أبداً، وفي أجود الفصول التي يكثر فيها العشب تعمد عدة عائلات جزائرية إلى ذبح ثور أو ثورين... والقهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب، لعدم تناولهم الخمر، ولا يشربون إلا الماء [2] .

وفي الختام، نقول أن وصف كتابات الغربيين للحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني كان وصفاً حيادياً من طرف أغلبيتهم، أمثال «شالر» Shaler، «سبنسر» Spencer، «توماس شاو» Thomas Shaw، «دي بارادي» De Paradis ، «فاغنر» Wagner... وغيرهم من الذين أشادوا بحسن أخلاق ومعاملات الجزائريين فيما بينهم ومع الغير، مع وصفهم الدقيق لمكانة المرأة في المجتمع وأعمالها، وتحدثهم عن الزواج وكيفية إتمامه، وعن الاحتفالات الدينية، الألبسة، العادات والتقاليد التي ظلت راسخة في ذاكرة مجتمع الإيالة، مع إبراز أثر الوجود العثماني في مظاهر الحياة الاجتماعية للجزائريين. إلا أن هناك من الغربيين من سعى من خلال كتاباته إلى تشويه هذه الصورة الحسنة عن الجزائريين من خلال العمل على ذكر المساوئ والسلبيات فقط وهذا إن وجدت، أو إلصاق تهم وأفكار لا أساس لها من الصحة عن الجزائريين خدمة لمصالح معينة أو لأغراض أخرى.. إلا أن الرد والتصحيح جاءهم من كتاب ومؤرخين غربيين أمثالهم اعتمدوا على الحيادية ونقل الحقائق كما هي.

[1]- Venture DE PARADIS, Op.cit, p 162 .

[2]- وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 88 .

خاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع المجتمع الجزائري في العهد العثماني، ومن خلال الاعتماد والاستفادة من مختلف الكتابات الغربية التي درست الحياة والواقع الاجتماعي للجزائر في تلك الفترة، نستنتج أن الامتزاج والتنوع في التركيبة السكانية للإيالة يعكس ترابط المجتمع الجزائري وتلاحم فئاته، وأن حضور العناصر المحلية في المجتمع ودخول بعض الفئات الوافدة مع بداية القرن الـ16م كالأتراك، الأعلاج، المسيحيون، الأندلسيون.. وظهور فئات جديدة داخل المجتمع كالكراغلة نتيجة المصاهرة بين المحليين والأتراك... قد عمل على تزويد الإيالة بالتنوع الحضاري والثقافي، وتغيير الواقع الاجتماعي، كما أكسب الدولة الجزائرية استقراراً داخلياً بفضل الوجود العثماني الذي عرف كيف يحافظ على كيان المجتمع الجزائري، وأيضاً نظراً لتلاحم مختلف هذه الشرائح السكانية وتوحيدها للجهود ولمصالحها المشتركة وعلى رأسها تحرير البلاد من الخطر المسيحي الاسباني، وهو العامل الذي ساهم في توحيد التركيبة السكانية والاجتماعية، وهذا ما شجع تطور الروابط الثقافية والاجتماعية، وأكسب الجزائر صبغةً خاصةً آنذاك.

كما نستنتج فيما يخص فعاليات هذه الفئات في المجتمع وممارستها لمختلف النشاطات قد ساهم في النهوض بالحياة العامة في إيالة الجزائر وتطورها في شتى الميادين (السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الثقافية، الإدارية...) واستقرار المستوى المعيشي لدى السكان، وهذا بفضل الدور الذي لعبته مختلف هذه الفئات وجهودها الكبيرة خلال مزاولتها لتلك النشاطات. فقد أثرى الكراغلة والأندلسيون خاصةً القطاع الاقتصادي والمستوى المعيشي في المجتمع بمهارتهم الحرفية وإنتاجهم الزراعي بفضل المحاصيل الجديدة التي جلبوها معهم وتقنياتهم المبتكرة في الزرع والسقي... كما رفع اليهود من مستوى التجارة الخارجية لإيالة الجزائر، ولعبوا دوراً مهماً في الجانب السياسي والعلاقات الخارجية للدولة الجزائرية... وتمكن الأهالي من تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بفضل حنكتهم ونظامهم الخاص في ممارسة مختلف الأنشطة في شتى القطاعات، كما حافظ الأتراك على استقرار الأوضاع الداخلية بفضل سياستهم الرشيدة في توحيد جهود كامل الفئات الاجتماعية للدفاع عن الإيالة ضد الخطر الخارجي ونهوضهم بالمؤسسة العسكرية، ويظهر كذلك دور الأعلاج ومهارتهم في تطوير البحرية الجزائرية الدرع الواقي للمجتمع الجزائري والإيالة من الأخطار

الخارجية، بالإضافة إلى فئة الأسرى المسيحيين الذين ساهموا في قطاع البحرية بحيث كانوا صناع مهرة للسفن مع عملهم في التجديف، وتوظيفهم في عدة أعمال في ميادين أخرى... فيمكننا القول بأن سكان الجزائر في تلك الفترة يمكن تصنيفهم إلى طبقات متمايزة، أعلاها الطبقة الحاكمة وتتمثل في الأتراك العثمانيون الذين استحوذوا على أهم المناصب الحساسة في البلاد من إدارة وجندية وتمسكوا بتقاليد الحكم والسلطة طيلة ثلاثة قرون، كما وجدت طبقة الحضر التي تتكون من الأسر المستقرة بالبلاد ومن الأندلسيين، إضافة إلى طبقة البرانية النشيطين بمدينة الجزائر إلا أنهم ظلوا يعتبرون أجانب بسبب عدم اندماجهم في المجتمع... وأخيراً طبقة الدخلاء من المسيحيين واليهود، إلا أن اليهود بفضل حنكتهم تمكنوا من السيطرة على القطاع التجاري خاصة في نهاية القرن الـ18م، ثم برزوا أكثر في الساحة السياسية، حيث صاروا وسطاء سياسيين بين الدول الأوروبية والجزائر.

ونستخلص فيما يخص الحياة الاجتماعية في الجزائر حياد بعض الكُتاب الغربيين في سردهم ووصفهم لمظاهر حياة السكان مع ذكرهم للحقائق كما هي، دون أن يلحقوا بها تغييراً أو تحريفاً... رغم محاولات عدد منهم، والذين سعوا إلى تشويه طيبة أخلاق الجزائريين وصورة المرأة وعادات السكان والمجتمع... ومن أجل الرد على كتابات هؤلاء، يكفي الرجوع إلى مصادر وشهادات لأسرى أو قناصل أو رحالة أجانب ممن عاشوا واحتكوا بالمجتمع الجزائري في تلك الفترة، وتعرفوا على حسن معاملات وأخلاق السكان، ثراء عاداتهم، أعيادهم وتعظيمهم للشعائر الدينية، تنوع ألبستهم، تقديسهم لرباط الزوجية... هذه العناصر التي أكسبت المجتمع الجزائري صبغةً خاصةً وطابعاً مميزاً طيلة العهد العثماني.

ولا بد من القول أن في الكتابات الغربية حقائق وشهادات عن مجتمع الإيالة قد لا نجدها في غيرها من الكتابات، فقد ساهمت بدورها في إعطاء صورة واضحة عن الواقع الاجتماعي بالجزائر وعن نشاطات سكانها... إلا أن هذا لم يمنع وجود فئة أخرى من الكُتاب والمؤلفين الغربيين الذين عملوا بواسطة كتاباتهم المغرضة التي تفتقد للموضوعية على إتهام المجتمع الجزائري وتشويه حقيقته بالأكاذيب لأغراض ومصالح معينة.

الملاحق

الملحق رقم 01: لوحة لرقصة الزنوج بمدينة الجزائر احتفالاً بالعيد.[1]

[1]- ليسور ويلد، المرجع السابق، ص 89.

الملحق رقم 02: لوحة لحفلة أقيمت من طرف أهالي الجزائر (Fête mauresque)

[1]- ليسور ويلد، المرجع السابق، ص 67.

الملحق رقم 03: لوحة للشكل الداخلي لمنزل أسرة جزائرية خلال العهد العثماني.[1]

[1]- ليسور ويلد، المرجع السابق، ص 57.

الملحق رقم 04: لوحة لمقهى جزائري في الفترة العثمانية.

[1]- ليسور ويلد، المرجع السابق، ص 23.

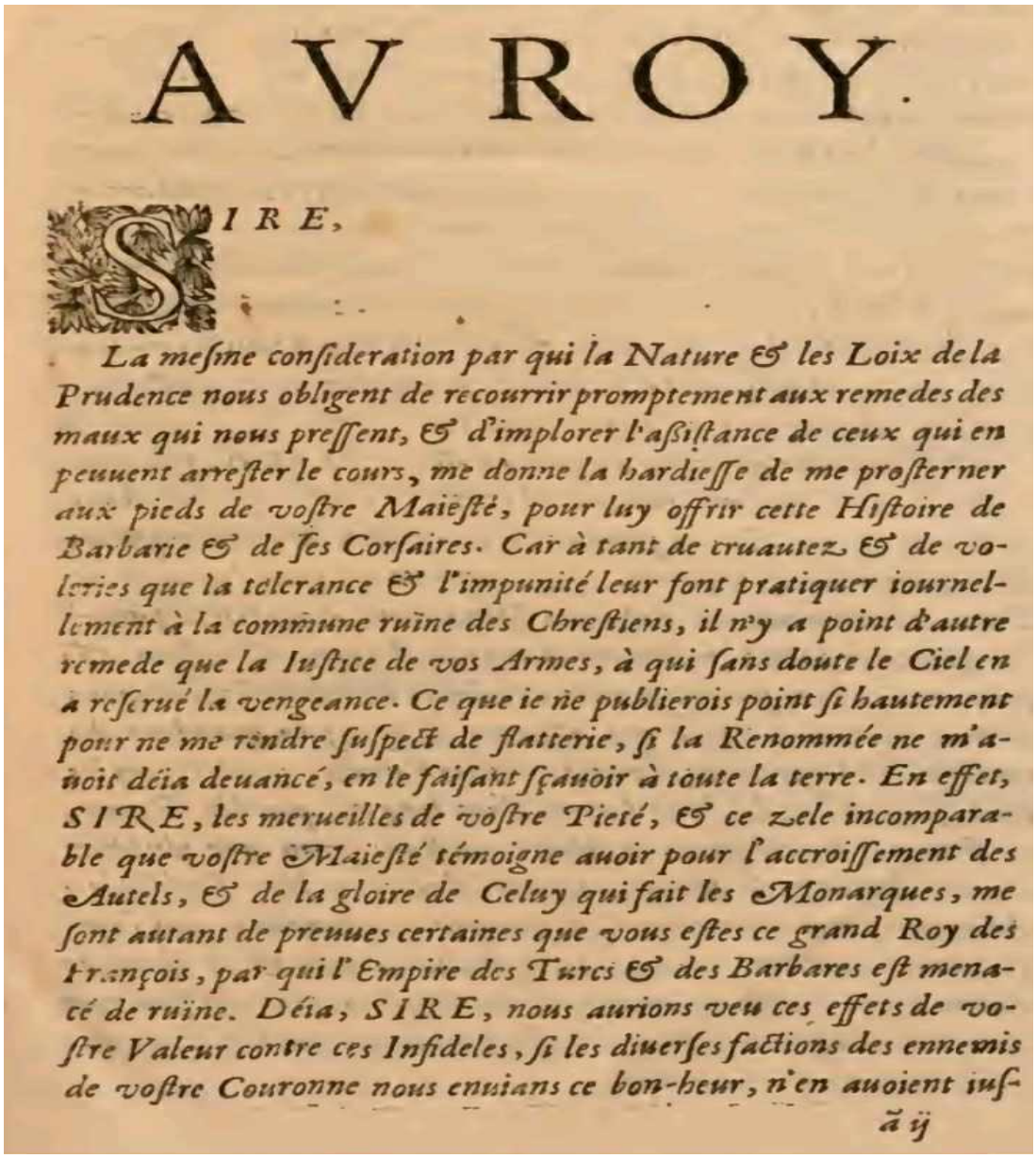

AV ROY.

SIRE,

La meſme conſideration par qui la Nature & les Loix de la Prudence nous obligent de recourrir promptement aux remedes des maux qui nous preſſent, & d'implorer l'aſsiſtance de ceux qui en peuuent arreſter le cours, me donne la hardieſſe de me proſterner aux pieds de voſtre Maieſté, pour luy offrir cette Hiſtoire de Barbarie & de ſes Corſaires. Car à tant de cruautez & de voleries que la tolerance & l'impunité leur font pratiquer iournellement à la commune ruïne des Chreſtiens, il n'y a point d'autre remede que la Iuſtice de vos Armes, à qui ſans doute le Ciel en a reſerué la vengeance. Ce que ie ne publierois point ſi hautement pour ne me rendre ſuſpect de flatterie, ſi la Renommée ne m'auoit déia deuancé, en le faiſant ſçauoir à toute la terre. En effet, SIRE, les merueilles de voſtre Pieté, & ce zele incomparable que voſtre Maieſté témoigne auoir pour l'accroiſſement des Autels, & de la gloire de Celuy qui fait les Monarques, me ſont autant de preuues certaines que vous eſtes ce grand Roy des François, par qui l'Empire des Turcs & des Barbares eſt menacé de ruïne. Déia, SIRE, nous aurions veu ces effets de voſtre Valeur contre ces Infideles, ſi les diuerſes factions des ennemis de voſtre Couronne nous enuians ce bon-heur, n'en auoient iuſ-

ã ij

الملحق رقم 05: صورة لشكل الحروف والخط اللاتيني في بعض الكتب الغربية خلال الفترة الحديثة

[1] - Pierre DAN, op.cit, p 9.

القائمة البيبليوغرافية

1- المصادر:

أ- باللغة العربية:

1- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

2- ستيفنز جيمس ويلسون، الأسرى الأمريكان في الجزائر (1796/1785م)، ترجمة: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

3- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

4- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

5- عميراوي احميده، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجاً) ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003.

6- فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

7- كاثكارت جيمس لندر، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

8- هابنسترايت ج. أو، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007.

9- ويلد ليسور، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتعليق وترجمة: محمد جيجلي، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

ب- باللغة الفرنسية:

1- BONNAFONT (Jean-Pierre), Douze ans en Algérie 1830 à 1842 par le Docteur BONNAFONT médecin principal des armées en retraite, Imprimerie JULES MOUREAU, Paris, 1880.

2- D'ARVIEUX (Laurent), Mémoires du Chevalier D'Arvieux envoyé extraordinaire du roi à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et d'autres échelles du Levant, Tome 6, par le R.P. Jean-Baptiste Labat, Paris, 1736.

3- DAN Pierre, Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, et de Tripoly, Deuxième édition, Ed. Pierre Rocolet, Paris, 1649.

4- DE HAEDO (Fray Diego), Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduction : Dr. Monnereau et A. Berbrugger, Editions BOUCHENE, Saint Denis (France), 1998.

5- DE PARADIS (Jean-Michel Venture), Alger au XVIII^{e} siècle, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898.

6- DE TASSY (Laugier), Histoire du royaume d'Alger, Ed. Henri DU SAUZET, Amsterdam (Pays-Bas), 1724.

7- PEYSSONNEL (Jean-André) et DESFONTAINES (René Louiche), Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger, Tome 1, Editeur des annales des voyages, Paris, 1838.

8- POIRET (Jean-Louis Marie L'Abbé), Voyage en Barbarie ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785 et 1786, Tome 1, J.B.F Née de la Rochelle, Paris, 1789.

9- SHAW (Thomas), Voyage dans la Régence d'Alger ou Description géographique, physique, philologique de cet état par

le Dr. SHAW, Traduit par : J. McCarthy, Ed. MARLIN, Paris, 1830.

10- TOLLOT (Le Sieur), Nouveau Voyage fait au Levant ès années 1731 et 1732, Durand, Paris, 1742.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

1- برنيان أندري ونوشي أندري ولاكوست إيف، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

2- بلقاضي بدر الدين وبن حموش مصطفى، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

3- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

4- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2 ، دار البصائر، الجزائر، 2009.

5- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

6- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر الطباعة التوزيع والترجمة، الجزائر، 2011.

7- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

8- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008.

9- وولف جون، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

ب- باللغة الفرنسية:

1- BOUTIN (Vincent Yves), Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, Deuxième édition, Typographie de J. PINARD, Imprimeur du Roi, Paris, 1830.

2- D'ESTRY (Stephen), Histoire D'Alger, Quatrième édition, Ed. Mame Et Cin Imprimeurs-Libraires, Tours (France), 1843.

3- DE GRAMMONT (Henri Delmas), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest LEROUX, Paris, 1887.

4- DE ROTALIER (Charles), Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle, Tome2, PAULIN, Paris, 1841

5- RINN (Louis), Histoire d'Alger sous le dernier Dey, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1900.

3- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1- بن عتو حمدون، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين -الكتابات الفرنسية والاسبانية نموذجاً-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2016.

2- بوشيبة دهبية، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021/2020.

3- خيراني ليلى، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني –دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2013/2012.

4- رحموني عبد الجليل، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015/2014.

5- سبوعي إلياس، صورة الجزائر من خلال أدب الرحلة الأوروبية في القرنين 17 و18م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2023/2022.

4- المقالات العلمية:

أ- باللغة العربية:

1- آيت حبوش حميد، أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر -العهد العثماني نموذجاً-، "الحوار المتوسطي"، العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2010.

2- آيت حبوش حميد، نظرة المصادر الأوروبية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني، "عصور"، العدد1، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2012.

3- مولاي بلحميسي، المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني، "مجلة الأصالة"، العدد 14، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011.

4- بوطرافة شفيق، الجزائر في مذكرات الأسرى الأوروبيين -قراءة في نماذج-، "التواصل الأدبي"، العدد2، مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، جوان 2022.

5- حنكة حواء وكركار عبد القادر، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، "مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، المجلد15، العدد1، مخبر تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، جامعة الوادي، الجزائر، جانفي 2023.

6- دبوب محمد، الفترة العثمانية وطبيعة الكتابات التاريخية حولها (1516-1830)، "مجلة الحقيقة"، العدد 43، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2018.

7- دراعو محمد ولعايب معمر، الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال (1830م)، "المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية"، العدد2، المجلد14، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2022.

8- العاشوري موسى، مراسلات القنصل ديبوا تانفيل مع وزير الخارجية الفرنسي تاليران (1800-1805) من خلال وثائق أرشيفية، "المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية " ، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2023.

9- العيايدة آمنة فاطمة زهرة، أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830) -دراسة نماذج-، "مجلة دراسات في التنمية والمجتمع"، العدد1، المجلد7، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ماي 2022.

10- قرباج بلقاسم، تاريخ الجزائر العثمانية في الكتابات الإنجليزية، "مجلة عصور الجديدة"، العدد 11-12، مختبر البحث التاريخي - تاريخ الجزائر-، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

11- قرباش بلقاسم، دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر العثماني، "مجلة رفوف"، العدد4، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، ماي 2014.

12- موس نيلز نيلسون، أسير نرويجي في مدينة الجزائر (1769-1772م)، ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة، "مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية"، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2019.

ب- باللغة الفرنسية:

1- TOLLOT (Le Sieur), Un Voyage de Paris à Alger en 1731 par Le Sieur Tollot, « Revue Africaine », 11^{é} année, n°66, Ed. M. Louis Piesse, Paris, Novembre 1867.

5- المواقع الإلكترونية:

1- بوكسيبة محمود، مصادر تاريخ الجزائر (1519-1962)، https ://elearning.univ-msila.dz/moodle/course/view.php?id=3826&lang=en، 2024/04/26، 21:43.

2- محرز أمين، نبذة عن المصادر الأوروبية حول تاريخ الجزائر الحديث، http ://moodle.univ-dbkm.dz/mod/resource/view.php?id=15092، 2024/04/28، 13:51.

3- قرباش بلقاسم، المجتمع الجزائري في روايات الأسرى والرحالة الإنجليز (1595-1830)، https://www.researchgate.net/publication/307955046، 2024/05/19 ، 18:38.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ - هـ
الفصل الأول: الكتابات الغربية وتناولها لتاريخ الجزائر الحديث	
تمهيد	12
المبحث الأول: الكتابات الغربية: مفهومها، أنواعها وطبيعتها	13
1- مفهوم الكتابات الغربية	13
2- أنواع الكتابات الغربية	14
3- طبيعة الكتابات الغربية	22
المبحث الثاني: خصائص الكتابات الغربية وأهميتها	23
1- خصائص الكتابات الغربية	23
2- أهمية الكتابات الغربية في تناول تاريخ الجزائر الحديث	29
المبحث الثالث: نماذج عن الكتابات الغربية	32
الفصل الثاني: فئات المجتمع الجزائري ونشاطاتها خلال العهد العثماني	
تمهيد	37
المبحث الأول: التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني	38
أولاً- المسلمون:	38
1- الأهالي	38
2- الأندلسيون	45
3- العثمانيون	47
ثانياً- أهل الذمة:	51
1- اليهود	51

2- المسيحيون	53
المبحث الثاني: نشاطات فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني	58
1- نشاط الأهالي	58
2- نشاط الأندلسيين	60
3- نشاط العثمانيين	61
4- نشاط اليهود	64
5- نشاط المسيحيين	65
الفصل الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني	
تمهيد	69
المبحث الأول: الجانب الأسري في المجتمع الجزائري	70
1- الزواج والطلاق	70
2- المرأة ومكانتها في المجتمع	74
المبحث الثاني: الجانب الأخلاقي للسكان وارتباطهم المرافق العامة	78
1- أخلاق المجتمع الجزائري	78
2- المرافق العامة وعلاقة السكان بها	83
المبحث الثالث: الاحتفالات الدينية، العادات والتقاليد	91
1- الاحتفالات الدينية	91
2- العادات والتقاليد	95
3- اللباس	98
4- الطعام	101
خاتمة	105
الملاحق	108
القائمة البيبليوغرافية	114
فهرس المحتويات	122

ملخص:

يعتبر العصر الحديث من تاريخ الجزائر من المراحل الحاسمة التي عرفتها البلاد في ظل الوجود العثماني (1519-1830م)، هذه المرحلة التاريخية الهامة التي عكف مؤلفون وكُتاب غربيون على تدوين أهم الأحداث التي ميزتها، فنتجت بذلك كتابات تاريخية متنوعة، وقد أبدى هؤلاء اهتمامهم بالجانب الاجتماعي، وهذا بعد احتكاكهم بالمجتمع الجزائري فترة تواجدهم بالإيالة... ومن خلال دراستنا هذه واعتماداً على كتاباتهم قمنا بتسليط الضوء على فئات المجتمع الجزائري في العهد العثماني من أهالي وأندلسيين وأتراك مع وجود اليهود والنصارى، وفئات أخرى خلقت تنوعاً ثقافياً نظراً لترابطها رغم اختلافاتها العرقية، وتعرفنا على فعالياتها في المجتمع وذلك بممارستها لنشاطات ساهمت في ازدهار الحياة العامة...أما فيما يخص الحياة الاجتماعية فنقول عنها أنها عرفت ثراء بسبب تنوع العادات والتقاليد، ونظراً لأخلاق السكان ومعاملاتهم، إضافة إلى التمسك الأسري وتقديس رباط الزوجية بين الرجل والمرأة الجزائرية التي حظيت بمكانة هامة في المجتمع... ما ميز الحياة الاجتماعية ومنحها طابعاً خاصاً في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الجزائري- العهد العثماني- الكتابات الغربية- الغربيون- مظاهر الحياة الاجتماعية

Résumé :

L'époque moderne de l'histoire de l'Algérie est considérée comme étant l'une des périodes historiques les plus décisives que le pays avait connu sous l'occupation ottomane (1519-1830). Il s'agit d'une ère importante au cours de laquelle les écrivains et auteurs occidentaux se sont consacrés à noter les événements qui ont marqué et caractérisé cette période, produisant ainsi divers écrits historiques, en exprimant leur intérêt sur la vie sociale, et cela suite à leur contact avec la société algérienne lors de leur séjour à Alger.

A travers ces écrits occidentaux, nous avons donc connu les différents composants de la société d'Alger à l'époque ottomane, y compris les Maures, les Andalous, les Turcs, avec la présence des juifs et des chrétiens… Qui ont tous créé une diversité culturelle due à leur union, malgré leurs différences ethniques et religieuses, chaque peuple était actif dans la société en s'engageant dans des activités qui contribuaient au développement de la vie publique à la Régence.

La vie sociale avait connu de la prospérité en raison de la variété des coutumes et des traditions, aussi grâce aux qualités de ses habitants et leurs mœurs et croyances, leur valorisation de l'aspect familiale et de la relation conjugale entre l'homme et la femme algérienne, cette dernière qui avait eu une place importante dans la société…Tout ça distinguait les aspects de la vie sociale à Alger durant cette époque.

Mots clés: Alger - société - l'époque ottomane - écrits historiques - occidentaux - vie sociale